We 264

BIBLIOTHECA REGIA BEROLINENSIS.
DONO
WILHELMI I.
REGIS AUGUSTISSIMI
DIE XXVIII. OCTOBRIS A. MDCCCLXII.
BIBLIOTHECA
WETZSTEINIANA II.

Ex
Biblioth. Regia
Berolinensi.

وبعد فقد روي عن ناظم القصيدة الموسومة بالبردة انه قال اصابني فالج ابطل نصفي ففكرت ان اعمل
قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم لاستشفع بها الى الله وانشات هذه القصيدة ونمت فرايت
النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فمسح علي بيده المباركة فعوفيت لوقتي فخرجت بكرة من بيتي
فاذا بعض الفقرا يستنشدني قصيدة اولها امن تذكر جيران بذي سلم فتعجبت اذ ما كنت اخبرت
بها احدا فقال والله لقد سمعتها تنشد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتمايل تمايل الاغصان
فاعطيته اياها فنشر الخبر بين الناس ولما انتهى الى وزير الملك الظاهر استنسخها ونذر ان لا
يسمعها الا واقفا حافيا حاسر الراس فراى هو واهله من بركاتها خيرا كثيرا ثم انه اصاب موقع هذا
الوزير رمد عظيم اشرف منه على العمى فراى في منامه كان قايلا يقول امض الى الوزير
وخذ منه البردة واجعلها على عينيك فعرض على الوزير ما راى فقال ما عندي شي يقال
له البردة وانما عندي مديح النبي صلى الله عليه وسلم ونحن نستشفي به فاخرج القصيدة ووضعها
على عينيه وقريت وهو جالس فشفاه الله من الرمد لوقته فسميت بالبردة وهي مجربة
عند طلب الحاجات ونزول المهمات ولعلها سميت بردة لكونها في المعنى كسوة شريفة فصلت
على قامة النبي صلى الله عليه وسلم وتسمية الصفة كسوة مجاز مشهور في شرح ملا علي

[illegible]

كتاب

شرح البردة للشيخ العلامة العمدة الفهامة الورعى
الزاهد مربي المريدين وخلاصة المقبسين
الشيخ احمد بن محمد القسطلاني اعاد
الله علينا وعلى المسلمين من بركاته
في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه امين
والحمد لله رب العالمين

فائدة قال الشيخ علوان في مصباح الهداية
ومحاسن اشارة في الكواكب البردة
الشريفة فلذلك قال اعظم اهبري
بلد الكرسي كان الشيخ السيد الكرماني قائمه
جانب ذلك ورايت في كلام غيره ما يؤكد

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

يقول الفقير عفو الله احمد بن محمد القسطلاني الحمد لله الذي
شرح بمدح نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قلوب اوليائه ونفح
ارواح محبيه في رياض معاني اسمائه وو شحهم ببردة محاسنه
وطيب اسرارهم بطيب ثنائه احمده على ما منحنا به من عطائه
واشكره على ما من به من كشف غطائه ودفع
من لأوائه واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له اله تفرد
في ازليته مع كبريائه ونوحد في حمد يمنح بدوام بقائه
واشهد ان محمدا عبده ورسوله خاتم انبيائه واكرم مبلغ
لانبائه صلى الله عليه وعلى اله واصحابه واتباعه وخلفائه
ما ركضت عذبات البان ريح صبا واطرب العيس حادي العيس بحدائه

وبعد فهذا التعليق على القصيدة الموسومة بالبردة
التي نظمها الامام العلامة شرف الدين ابو عبد الله محمد بن سعيد
ابن حماد البوصيري اثابه الله الفردوس من البحر المسمى بالبسيط
وامتدح بها سيد المرسلين وخاتم النبيين محمدا عليه افضل الصلاة
والتسليم اختصرت فيه شرحها للعلامة الاستاذ المحقق ابي عبد الله
محمد بن مرزوق المغربي التلمساني المالكي مع زيادات من غيره
كشرحها للامام ابي العباس الاسدي والعلامة المحقق الجلال المحلي
وغيرهما وسميته مشارق الانوار المضية في شرح الكواكب الدرية
في مدح خير البرية والله اسأل ان ينفعني واحبابي في سلك العلماء
العاملين والاولياء المقربين وقد اخبرني بالقصيدة المذكورة

الشيخ

الشيخ الاصيل ابو عبد الله محمد بن محمد المصري الشافعي نفع الله قدره
جميعها قال اخبرنا مسند الدنيا محمد بن محمد السكندري القاهري
سماعا عليه قال اخبرنا الشيخ الامام العلامة ابو عمر بن العلامة ابن ابي
عبد الله محمد الكناني الشافعي سماعا عليه قال اخبرنا العلامة ابو
عبد الله محمد البوصيري اجازة في شهر ربيع الاول سنة اربع وتسعين
وستمائة قال بعد ان نزل نفسه منزلة مخاطب يخاطبه لما راه
باكيا قد امتزج دمعه بالدم مستفهما له عن سبب بكائه بالهمزة
امن بفتح الهمزة وكسر الميم تذكر بفتح الاوليين وضم الكاف مشددة
مصدر تذكر كتفعل من الذكر ضد النسيان جار ومجرور متعلق
بمزجت اضيف الى قوله جيران بكسر الجيم كفعلان جمع جار اي من اجل
تذكر جيران كانوا بذي سلم وهو موضع بين مكة والمدينة قريب
من تذنيب والباء بمعنى ظرفية وهو صفة لجيران وعامله محذوف اي كائنين
وليتعلمان الذي يلي همزة الاستفهام هو المستفهم عنه فان استفهمت
عن الفعل قلت اضربت زيدا او عن المفعول قلت ازيدا ضربت ولما
كان المستفهم عنه هنا انما هو سبب مزج الدمع بالدم اولاه الهمزة
ولم يولها المزج لانه ليس محققا واخره فقال مزجت بفتح التاء
اي خلطت دمعا بالنصب على المفعولية جرى اي سال من مقلة
بدم جار ومجرور متعلق بجرى والمقلة شحمة العين التي تجمع السواد
والبياض وفيها الحدقة وهي السواد الذي في وسط العين وفيها الناظر
والانسان وهو موضع البصر منها الذي تراه كانه صورة وليس بخلق مخلوق
والعين كالمراة اذا استقبلها شخص راى شخصه لشدة صفاء الناظر

والناظر ايضا عرقان في العينين وفي اسنيفما الكلام في هذه العادة
طول محله كتب التشريح والدم هو احد الاشباح الاربعة
التي خلق منها الانسان وفي قوله جرى من مقلة بدم احترازي
ويسمى ايضا تكميلا لانه لو اقتصر على قوله مزجت دمعا هدم
لكان مما يحتمل الكلام ان الدمع نفسا لدمن العين مزج
بدم اجنبي وليس هذا امراده فدفعه بقوله جرى من مقلة
وبهذا يرد قول من قال ان في قوله من مقلة حشو لا فايدة
فيه لان الدمع لا يجري الا منها وتعريف الدمع هو الماء المالح السايل
من العين مع البكا سخن ان كان للحزن والانبارد و سببه مقاطعة
الحرارة الغريزية بالحرارة الحادثة بحركة النفس الشديدة
عند الفرح او الحزن الا انه مع الحزن اقوى بذلك يخرج سخنا لا لسار
الشديد الحرارة اذا فارق النار الغريزية لا يبرد الا بعد حين فاذا كانت
الحرارة ضعيفة بنفس مفارقتها تعود الى اصله وقال حذر وجه
مع الفرح ان النفس تنبسط معه تنتشر الحرارة على الجسد فيضعف
فعلها وكثرة مع الحزن لان النفس تنقبض فتخرج الحرارة في صوب
واحد فتعصر الرطوبات المائية امامها فاذا افرغت خرج الدم
لانه اقرب من غيره لعمومه الاعضا وسريانه في ساير العروق وفي هذا البيت
براعة الاستهلال لانه علم منه ما وقفه ه من مدحه صلى الله عليه وسلم
بذكر الجيران بذي سلم فانه من جبال الحجاز وفيه الاسناد المجازي
كان المخاطب لم يمزج الدمع بالدم بل فعل سببه وهو البكا فهو كقولهم بني
الامير المدينة والتنكير في قوله جيران ودمعا ومقلة ودم اما للتعظيم

الطا

واما المدعية وفيه ايضا التجنيس الناقص في دمع ودم لاختلافهما
بزيادة حرف الميم ثم عطف على قوله تذكر قوله ام هبت الريح
يعني امن تذكر جيران مزجت ام من اجل هبت الريح من تلقا
اي ناحية واقرب كاظمة وهي موضع قبل بقرب المدينة الشريفة
واومض اي لمع خفيا في الليلة الظلما من ناحية اضم
بكسر الهمزة جبل وقيل واد وحقيقة البرق عند الحكما
واهل الهيئة نار تحدث عند شدة اصطكاك اجرام الغيوم
بعضها ببعض ولذلك اكثرها يكون عند انتقال الزمان من البرد
الى الحر او العكس ويلاقي البرد بتصاعد الهوى حارا او بالعكس فتحدث
اصوات الرعد من ذلك الاصطكاك واما السنيون فيقولون الرعد
ملك وقيل صوت ملك يزجر السحاب الى الجهات التي يريد الله
تعالى والبرق صوته واعلم ان في بكائه من اجل تذكر جيران
بذي سلم تنبيه لك ان تبكي خوفا ان لا تكون مجاورا لاهل
الجنة لانهم الذين يكونون بدار السلام وهي الجنة كما قال الله تعالى
جل وعلا والله يدعو الى دار السلام في آي كثيرة وان تكون من اهل
النار وكيف يبكي لانها تنطبق على اهلها ويكون على هذا المراد
بالريح ريحها والمام البرق لهبها واهله العنق الذي يخرج
منها لالتقاط اهلها فهي اعرف بهم من الوالدة بولدها فينبغي
لكل مكلف ان يبكي مخافة فوت الجنان او مخافة مقاساة النيران
ويحتمل ان يكون اراد بالجيران محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه
رضي الله عنهم فان ذكر المحبوب يوجب بكا المحب وقد كان كثير من الصحابة

قف في تعريف البرق

وأتباعهم يدركهم مثل الموت اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فمنهم
من يضطرب ومنهم من يصفر لونه ومنهم من يغشى عليه اي فلامه اشارة
الى ان الحزن لا ينبغي ان يفارق المكلف وبالجملة فان الحزن والبكا
خوفا من نقم الله تعالى لا يسكن الا قلب تقي وكان قال بشر الحافي
الحزن ملك لا يسكن الا قلب تقي وقال سفيان بن عيينة لو ان
حزينا بكى في امة لرحمهم ببكائه ثم استفهم لما انكر ان يكون
سبب بكائه واحدا من الامرين اي تذكر الجيران وهبوب الريح بقوله
فما لعينيك ان قلت لهما اكففا فعل وفاعل في موضع نصب مفعول لقلت
اي احبسا من البكا همتا اي سالتا دمعا فالتمييز محذوف للعلم به اذا كان
والفاء في فما جواب شرط مقدر اي اذا انكرت حقا فاي سبب اوجب
لعينيك انك اذا قلت لهما اكففا بكاء همتا وما لقلبك ان قلت له استفق
من غمرتك يهم مضارع هام والهيام كالجنون من العشق
يقال هام في العشق اي لا يدري اين هو وخص القلب لانه محل العقل
عند اكثر السنيين قال تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها وقالت
طائفة محله الدماغ ومنهم من جمع بين القولين لما بينهما من الاتصال
وهو شكل صنوبري وموضعه من الجسد وسط الصدر وهو منبع
الحياة وعنصر حرارة الجسم ولما لم يجد المسئول جوابا وافحمه
السائل بالسؤال المسكت والالزام المبهت رجع الى تغليطه في
انكاره ما لا تكاد يخفى فقال منكرا ايحسب الصب اي يظن
العاشق المشتاق او المستهام الذي وهبه الحب ان الحب منكتم عن
الناس اسم فاعل من انكتم اي مستتر ما بين دمع عيني منسجم يعني

سائل

سايل منه و من قلب مضطرم اي ملتهب والتقابل من التـ
اصل مضطرم كمنفعل وما في قوله سابين رابعة و في قوله الكففا
و بين المطابقة وليسمي الطباق والتضاد وهو الجمع بين ضدين او متقا بلين
وكان المسؤل قال للسائل سلمنا انكاركم على الصب كتمه حبا
حتي كاني لست بصب فما دليلك على ذلك فقال **لولا الهوي** موجود
لديك **لم ترق** اي لم تصب **دمعا على طلل** منسوب الي الاحباب
اي في طللهما انه قد رأيناك شاهده يبكي بين الاطلال وفيه
تكلف واما لم يقدر وقوفه على الطلل فهي للتعليل اي من اجل
ان ذكرا وذكرت لك اطلال الاحباب والاطلال ما ارتفع من اثار
الدار والجمع اطلال وطلول ولولا حرف امتناع لوجود و يلزم
الدخول على المبتدا وهو هنا الهوي وخبره محذوف وجوبا على
الصحيح والتقدير كما قدرناه لولا الهوي موجود ويغني عنه في الغالب
جواب لولا ولم والفعل المجزوم بها وما تعلق به جواب لولا و دمعا
مفعول ترق ثم اردف هذا الدليل وهو اراقة الدمع على الطلل
بدليل آخر فقال **ولا ارقت** بكسر الراي ولولا الهوي لم تسهر
لذكر **البان والعلم** والبان شجر ببلاد الاحبة والعلم جبل
او الجبل الطويل وهو من جبال الاحبة ايضا ويحتمل ان يكون
مراده ولا ارقت لذكر البان المشبه بها المحبوب في طول القامة
وحسن الهيئة وطيب الرايحة وانما اورثه ذكرهما السهر
لان المحب تكثر حرارته فتفني رطوبات دماغه التي هي من
صعود الابخرة من المعدة وانما يكون النوم من تلك الرطوبات

اذا كان فيه ثمّ مثال ويكون عنه النوم والسبات وذلك منعكس الحرارة
عند النوم الى داخل الجسد وسببه الاعظم كثرة الطعام والشراب
لاشتغال الحرارة بهضمه فيتضاعف ما يتصل منه الى الدماغ ويكثر
فيه ما يغمر أمام الحرارة من الرطوبات الباردة فتخمد إدراك ويقام
والحب الذي الهاه حبه عن الاكل والشرب تضاعفت حرارته
الغريزية التي اكتسبها من لوعة الحب وحرقته فتفني رطوباته
فلا ينام لا سيما عند تباعد الاحباب او ما شبه بالاحباب
واللام في لذكر اتبان للتعليل وال في الهوى يحتمل الجنس اي لولا
هذه الحقيقة والعهد اي لولا هواك وفي قوله لم ترق القتاد من
الغيبة الى الخطاب نحو مالك يوم الدين اياك نعبد شاهد من هذا
الدليل بثالث تقدمه ولا اعارتك لوني عبرة وضنى اي ولولا الهوى
لم تحرك اي نعطك على سبيل العارية ذكرى الخيام فاعل عارت
ومعناه الية والخيام جمع خيمة وهو بيت تبنيه العرب من عيدان
الشجر وذكرى ساكني الخيمة المراد بالهوى هنا النوع فكانه شبه
لوني العبرة والضنى بلباسين اعاد هما ذكرى الخيام وذكرى ساكنيه
الصب ووجه التشبيه ان اثار الحب رؤية للصب يتزين بها
كما يتزين باللباس فرقة جسمه وصفرة لونه كثوب بديع الرقة
والصبغ ولذلك لون الضنى وانسجام الدمع سمطاه او اثر على الخد
بمثابة العلم المعلق عليه وذلك بمثابة العبرة وفي قوله اعارتك لوني
استعارة بالكناية ويلازمها تخييلية وحقيقتها ان يضمر
التشبيه في النفس ولا يذكر شيء من اركانه سوى المشبه

[margin notes:]
تذكرة
نكتة ... نوع البديع ... وقت ... المشتق ...
تنبيه هذا البيت ... من انواع ... والظاهر انه ... من البديعات ...

ويدل

ويدل على التشبيه بان يثبت المشبه شي يختص بالمشبه به فيسمى
التشبيه استعارة بالكناية وهو هنا تشبيه لولي العبرة
والضني بلباسين ولم يذكرا لكن ذكر ما هو من احوالهما وهي الخلع ربة
فتشبيه اللونين باللباسين معوا الاستعارة بالكناية واثبات
العارية لهما استعارة تخييلية وسقطت النون من ساكنين
للاضافة ولما اورد السائل على المخاطب الحجج الدالة على انه
محب واكثر منها حتى لم يبق له عذر وسحب نتيجة المستدل
اقبل عليه بالخطاب وقال منكرا عليه بصورة الاستفهام
فكيف تنكر اي تجحد حبا بعد هذه الحجج بعد ما شهدت اي اخبرت
به اي بانك عليك عدول الدمع السايل عند ذكر الاطلال
والسقم القايم بجسمك لذكر ساكني الخيم واي عدول لانهما
شهادتهم وعدول جمع عدل واصله مصدر فالعدل
باعتبار المصدر الذي هو اصله لا يثني ولا يجمع وباعتبار
ما صار اليه من النقل يثنى ويجمع فيقول عدلان وعدول
ثم عطف عليه قوله واثبت الوجد من جهة الحزن خطي
عبرة وضنا يعني مرضا مثل البهار بفتح الباء الموحدة
وهو ورد اصفر على خديك والعنم بفتح العين والنون
شجر له اغصان حمر ومراده تشبيه الخطين بالعنم
في الحمرة لامتزاج الدمع بالدم واثر الضنا بالبهار في الصفرة
ولما كانت هذه الحجج واضحة ويلي كل شرف لا حجة افتح المخاطب
فاقر بلسان المقال كما اقر بلسان الحال فقال نعم اي صدقت

ايها السائل في كل ما نسبتني اليه فانا انما بكيت وسقمت من
تذكر الجيران الذين كنت فارقتهم والتسليت عنهم ببعض
التسلي وبسبب ذلك النسك كران سرى طيف اي خيال
من اهواه الي ليلا في النوم فانتبهت لذلك فذعا سهر عوضا
لما هو كان من الفرح بسبب لقائه قد ظنا مني ان ذلك في
اليقظة فلما تبين لي انه حلم عاد الي ما كنت تسليت ببعض
التسلي فانه لذلك عندي فارقني اي اسهرني الحب والحب
يعترض اللذات اي يحول دونه بالالم ويحتمل ان يكون معنى
يعترض يغبن ذا اللذات من قولهم عرضته اي غبنته
واعترض الشي صار عارضا كالخشبة المعترضة في النهر واللذا[ت]
جمع لذة قيل هي ادراك الملايم من حيث هو ملايم والالم مقابله
وقيل اللذة دفع الالم كالاكل لالم الجوع ورد بانه احد اسبابها
وقد يتصور دونه كالالتذاذ برؤية وجه مليح بغتة فانه
لم يتقدم الم لفقده حتي يدفع بكانه قال كان لي قبل طروق
خيالهم التذاذ بالنوم الموجب لراحة بدني عند من يري اللذات
وجودية بنفسها لا بانها ازالة او التسلي عن الهوي فاقام عندي
بزيارته مع الالم ثم لما اقر للعاذل وصدقه فيما نسبه اليه
واخبره بالسبب اخذ الان يلومه كلامه فقال يا لائمي اي
يا عاذلي في الهوى العذري اي الموصوف بكونه من هوي بني عذرة
اقبل او خذ معذرة او اعذر معذرة ويصح رفعها انا مني اليك
على انها خبر مبتدا محذوف اي هذه معذرة او علي انها مبتدا

اي

ومن منعة له والبك الخبر ولو اسعفت لم تلم ذلك لمت تلم
تنصرف ولو حرت لما كان سيقع لو وقع غيره وفوت المنا
امتناع لامتناع كذا قاله المجد الشيرازي ولم يسلم
جوابها وبنو عذرة قبيلة من اليمن قاله الجوهري اذا دل
احد منهم الهوى لم يزل به حتى يقتله غالبا وانما اختصوا
بذلك لصدق نيتهم فيه ورقة قلوبهم فهم اذا هووا هووا
واذا احبوا سقطوا واخبارالعذريين كثيرة يكل القلم
دون المعشار منها اذكر بعضها في رياض الالباب ونزهة
الاحباب ان شاء الله تعالى وفي هذا البيت اشارة الى انه
ينبغي للعبد ان يستغرق في طاعة الله تعالى رجاء ان
يكون من اوليائه ولا عليه من عذل من عذله على ذلك وليحتهد
في تحصيل الهدى واتباع طريق المهتدين وان عنف
فليعرض عن الجاهلين ثم اخذ الناظم رحمه الله يستعطف
العاذل لعله يرق له فيقل عذره فقال عدتك اي
جاوزتك حالي بفتح الياء هيئتي والحال يذكر ويؤنث
والافصح التانيث ويحتمل ان يريد بقوله عدتك حالي
الاستفهام على سبيل الانكار اي اعدتك وحذف الهمزة
للعلم بها كما قيل حكاية عن الخليل ابراهيم عليه
السلام هذا ربي وعليه ويكون تاكيدا لقوله ولو انصفت لم
تلم وكان العاذل لما لم يستفهم نعم جاوزتني
فقال الصب حين علم لا سري بمستتر اي بمكتتم عن الوشاة

الذين هم اعداء وا لواشي الكذاب النمام الذي يبلغ الحديث ويزينه
ولا داي في الحب اي مرضي **منحسم** اي ليس بمنقطع حتى
يرجى زواله ويحتمل ان تكون الجملة خبرية اي جاوزتك حالتي
وانت لم تعب بمصيبتي حتى تعلم مقدار ما انا فيه ولو اصبت
بها لما عدلتني ولعذرتني ويكون قوله لا سري على هذا التقدير
جواب سوال مقدر كانه قيل له وما حالتك التي استعظمتها
فقال لا سري الخ ولما كان العاذل انما يهدي عذله في صورة النصح
وكان العشق شيء الى المحب العذل على اي حال كان قال له **محضتني**
اي اخلصت لي **النصح** بزعمك واما لا اسلم لك ذلك سلمت انه كذلك
لكن لست اسمعه منك اي لا اقبله ثم ابدي عذره في ذلك بقوله
ان المحب عن العذال في صمم فلا يسمع عذلهم اي لا يقبله قال الثعالبي
في فقه اللغة يقال في اذنه وقر فان زاد فهو صمم فان زاد
فهو طرش فان زاد حتى لا يسمع الرعد فهو صلخ وكان ينبغي له
ان ياتي بما هو اعلى من الصمم الا انه لم يستقم له الوزن الا بذكر الصمم
ولا محل لجملة محضتني هنا لانها اما مستانفة او تفسيرية للوم
اللائم المتقدم وجملة اسمعه في محل نصب على انها خبر ليس ثم
اخذ الناظم كانه يقول اسكت ايها العاذل عن نصحك فاني اتهمت
من لا يتهم فقال **اني اتهمت نصيح الشيب** الذي هو بياض الشعر **في
عذلي والشيب ابعد في نصح عن التهم** نصح ان يكون ابعد افعل التفضيل
وفي الرواية وبيجوز ان يكون فعلا ماضيا ونصح كون الشيب نصيحا
انه منذر بقرب الاجل وحلول الموجب لا شتغال العبد بما يقرب

الي مولاه زلفي ويورثه لديه حسني العقبي وليس بعد بياض الزرع
الا حصاده ويقال في قوله تعالي وجاكم النذير انه الشيب وكان الشيب
يقول للمحب اترك ما انت عليه من الهوي واشتغل بما ينفعك في اخراك
كصورة ما يبدي العاذل في نصحه وما احسن قول عز الدولة

لما رايت الشيب في الشعر الاسود ۞ قد لاح صحت وا حزني
هذا وحق الاله احسبه ۞ اول خيط سدي من الكفن ۞ وقول الاخر
لم لا انتهيت وقد المر نذير ۞ الشيب يوذن انه سيسير
اما المشيب فانه عار ودنا ۞ اضر من بعد المشيب نذير

ولما كان قوله اني اتهمت نصح الشيب يستلزم انه لم يتعظ ولم
يأخذ بقوله لخذ بيبي علة ما اجمله في ذلك فقال **فان امارتي**
اي نفسي الامارة **بالسوء ما اتعظت** ولم تقبل موعظة الشيب
من اجل **جهلها بنذير الشيب** اي جهلت انذار الشيب **والهرم**
وهو كبر السن وضعف القوي فنذير علي هذا المعني المصدر
او يكون مرادا بالشيب النذير فيكون من اضافة الصفة اي
الموصوف ويكون التقدير بانذار ونذير الهرم اي والهرم النذير
او انذار الهرم علي التقدير الاول قيل اضاف امارة الي
عني به نفسه الي يا المتكلم ولم ابح نفسه فيكون علي هذا
نفسه امارة مامورة والعقل نفي بتغايرهما واجيب
بان الانسان ان عزم علي شي تردد فيه فتارة يشتد عزمه
علي فعله وتارة يتوكد فيها خاطران فالصواب منهما النفس
المطمينة والي المامورة بالسوء مخالفة النفس الامارة قال بعضهم

والاولى ان يقال ان الامارة هي النفس والتي يضاف اليها هو البدن
وهو المامور فالنفس مستولية بسلطانها في البدن تصرفه في
شهواتها الا ان يزجرها وازع العقل وذكر بعضهم ان النفس
تنقسم ثلاثة اقسام لثلاثة احوال امارة وهي التي لا يلوح
لها طمع الا تعرضت له ولا تترك لها شهوة الا اقتضتها ثم تسلك
طريق الرشاد ولا استفتات سور السداد ولا احكمت الرياضة
فهي تهيم في وادي البطالة وذلك المعبر عنه بالهوى وقد ذكرها
الله في قوله ان النفس لامارة بالسوء ومطمئنة وهي التي ثبتت لها
من الله عصمة وسبقت لها منه السعادة وسميت مطمئنة
لاطمينانها الى ذكر الله وقيل الى الايمان وقيل الى التصديق بوعد الله
وقيل غير ذلك قال تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى
ربك راضية ولوامة وذكرها الله تعالى بقوله ولا اقسم بالنفس
اللوامة وهي التي ان وقعت في معصية بسابق القضاء رجعت بالملامة
على ذاتها وتلك حالة حميدة وهي ان شاء الله عاقبة جميلة ثم لست
جعفر الصادق من اهتم نفسه على دوام الاوقات ولم يجالفها
في جميع الاحوال كان مغرورا ومن نظر اليها باستحسان شيء
منها فقد اهلكها ويقال النفس مجبولة على سوء الادب
والعبد مامور بملازمة الادب فالنفس تجري على طبعها في ميدان
المخالفة والعبد يردها بجهده عن سوء المطالبة فمن اعرض عن الجهد
فقد اطلق عنان النفس وغفل عن الرعاية ولا عدت اي
النفس الامارة ما تعطلت من جهلها ولا عدت الى هيئات من النظر الحميد

الحسن قري ضيف الم بتشديد الميم اي نزل براسي غير محتشم
اي غير مستحي ولا منقبض لان من اداب الضيف ان لا يكثر الاقامة
عند من اضافه حتى يحرجه فمن لا يفعل ذلك من الضيفان
كان غير محتشم فعلى العاقل ان يستعد بالاعمال الصالحة لضيافة
ضيف الشيب الذي اذا نزل لم يرتحل الا بالموت فانه ان احتد
الاستعداد الى نزوله فقد لا يتمكن من شي لسرعة الرحيل وضيق
الوقت ووجه تشبيه الشيب بالضيف ان الذي كان ملازما
للانسان قبل الشيب هو الشعر الاسود فلما انبدلت صفته
كان كالضيف الاجنبي ولما كان نذيرا بانقضا العمر صار بلسان
حاله كالطالب للمبادرة بالاعمال الصالحة التي هي زاد وللاخرة
كما يطلب الضيف قراه نفرحا او حكما وقاف قري بكسر القاف
ولما بين ان قبيح الشيب لا ينبغي ان يهمل نصحه واعتذر عن عدم
قبوله بالنفس الامارة وانه كان يرتقب حلوله فلما الديم له مثاه
ولم يطايف فعله بعد ظهوره ما نواه لغلبة النفس الامارة وراي
من سوء العتاب وتشنيع الفعال من الناس ما لم يكن قبل راه نذر
بيان انه لا يكون كتمه بعد ظهوره واخفايه فقال لو كنت اعلم اي اعرف
اني لم يبق قبل نزول الشيب اني ما اوقره بحذف نزوله بي اي لو كنت
ما اعلمه واترك فعل القبيح استحيا منه كما نويت قبل نزوله كتمت
اي اخفيت سرا بدا ظهر لي منه بالكتم خضبا او بغيره مما يخضب
والكتم محركة نبت يخلط بالحنا ويخضب به الشعر فيبقى لونه قاله في
القاموس وعبر الناظم عما بدا له اولا من الشيب بالسر لانه قبل

ظهوره حتى كحديث النفس الذي لم يظهر اولا لانه منذر بقرب الاجل
الذي كان خبيا قبل لا معنى لقوله لي لولا الوزن فان المستقبح
منه ما يبيد والخيره فيلوم عليه لا ما يبيه وله هو واجب بانه اذا
ظهر الشيب فاول ما يطلع عليه صاحبه في الغالب ثم حتمامه بشان
نفسه اكثر ما يهتم به غيره فلذا قال لي فليس قوله لي كالمستغني عنه
كما زعمه فقد علم ان قوله لي احتراس ويحتمل ان يكون من البيان
بعد الاجمال وهو من باب الاطناب نحو رب اشرح لي صدري ويسر لي
امري وفايدته علم الشي اجمالا ثم تفصيلا ثم استفهم عمن يتكفل
له برد جماح نفسه الامارة بالسوء بالمواعظ السنية والاسرار
الربانية فقال من لي برد جماح اي من يتكفل لي برد جماح من غوايتها بفتح الغين
المعجمة كما يرد جماح الخيل باللجم اللغوية لاه كما ان واعظ الشيب وعدا
لبيني استفهام تفرع واستعطاف ولما امر برد النفس عن جماحها
بالفنى ما يكون من العرف كرد الخيل الجموحة باللجم اللغوية وكان
من الجايز ان يقال بل الاولى السياسة في ردها بالملاطفة فقال
فلا ترم اي فلا تطلب بالمعاصي كسر شهوتها فان ذلك غلط فان تماديها
في العصيان موجب لتمادي شهوتها وصعوبة اقلاعها لانها الفت ذلك بل
ينبغي ان تقلع جملة واحدة كما يرد اللجام الجموح واصل ترم ترو بلا
الناهية فالتقا ساكنان الواو والميم فحذفت الواو لالتقا الساكنين
ثم استدل الناظم على ما ذكره بقوله ان الطعام يقوي شهوة النهم اذ تمكين النهم
من الطعام يزيد في قوة شهوته اياه بخلاف ما اذا رفع من بين يديه
فانه لا يجد ما يشتغل فيه فينسى منه وكذلك النفس اذا حيل بينها

ابي

وبين المعاصي تيأس منه وتعود الى الطاعة فيله دليله بيرهان ظاهر
فان النهم انما تقوى شهوته الى الطعام اذا لم يشبع منه واما اذا
شبع فقد اخذ حاجته منه واجيب بما قال بعض لسان العرب
تقول تعقه ونتعم الى ذ ق تاكله والمعدة ابدا تشتهي ما يلقى
فيها من الطعام الا المانع وقوتها الجاذبة لا تزال العوان امتلات
لا سيما معدة النهم ومثاله هذا اما ذكره بقوله **والنفس** واي
الروح او الدم او الجسد كله **كالطفل** المولود **ان تهمله** اي
تتركه **شب** اي كبر **على حب الرضاع** لانه قد الفه **وان تفطمه** عنه
ينفطم ولم يتعسر طالبه بوجه من الوجوه وقد كان قبل ذلك
يبكي ولا يسكت حتى يرضع فلما فطم ييئس فكذلك النفس انما
تنفطم عن ما الوف مراد نوى او لطف الكهف وسئل بعضهم
عن الاسلام فقال ذبح النفس بسيف المجاهدة ورد المخالفة
ولما شبه النفس بالطفل وكان الطفل لا يؤمر ولا ينهى لانه
لا يفهم ذلك والنفهم لا يمتثل وانما الشان في اراحته عند الامكان
منه امر عما يصرف الهوى عن الهوى حتى لا يجده فتعلق به فقال
فاصرف هواها قبل ان تمكن سلطانه ويا لديه حال ضعفه على حسب الطاقة
ولم يقل فاصرف النفس عن هواها لانها لا تفهم هذا المعنى او تفهم
ولا تمتثل كالطفل **وحاذر** اي احذر وكون من **ان توليه** اي
تؤثره من الامارة الى الولاية ويروى توليه من الموالاة
ان الهوى ما تولى يصم بضم اليا من اصميت الصيد اذا رميته فقتلته
او يصم بفتح اليا اي يعيب من وصمه يصمه اذا عابه والوصم

العيب والعار والمأثم يحاذر دون اخذه رتنبيه على ان النفس
تراقب غفلة صاحبها منها لتقع في هواها فيحاذرها كما يحاذرها
وفي قوله فاصرف هواها الخ البيت استعارة بالكناية فانه شبه
فيه بطالب الامارة وحذفه واثبت من لوازمه الامر ونهيه عن التولية
وانه جاير ظالم لانه ان تولى تثقل او عاب فهي ترشيحه لانه قرنت
بما يلايم المستعار منه وظاهر كلامه ان النفس تنصرف عن كل هواها
حتى عن الطاعة ان هويتها لكن ازال هذا الاشكال بقوله وراعها اي
لاحظها وهي في الاعمال الصالحة سايمة اي راعية ولما كان للنفس
حظ في افعال بعض العبادات كان ربما يلحقه الريا ويمدح الانسان
من احب لي فسها فهو بهواها فلذلك وهذا القيد قد يخفي على
صاحبه نبه على ذلك بقوله وان هي استحلت المرعى اي وجدته
حلوا فانهمكت او همت بالعكوف عليه فلا تسم اي فلا تخل جهـ
الى ذلك المرعى حتى تتفقد دسايسها لان النفوس البشرية
الامية رحمه الله لا تهوى الطاعة من حيث هي طاعة فاذا استحلتها
ومالت اليها امكن ان يكون لغرض لحظ ذلك فيعود هواها كالمكروه
المامور بصرفه عنها وتنقلب الطاعة معصية ثم استشهد
على هذا المعنى بقوله كم حسنت اي كثيرا ما زينت النفس
لذة للمرء قاتلة له من حيث لم يدر اي لم يعلم ان السم بفتح
السين وضمها في الدسم فاكله ولم يتفقد باطنه مما دس فيه
وخص الدسم لانه يعلو الاشيا فيستر ما تحته كصورة العبادة
الساترة لما بطن من النية الخبيثة اولان السم لسهولة

امتزاج الدم

الدم به يخفي الاعلي المنتفخ البيب كنفا اليات في العبادات
واخشَ الدسائس اي احش ما تخفيه النفس من المكر حال
تلبسها بتقليل العبادة وكثيرها وعبر عن قليلها بقوله من جوع وعن
كثيرها بقوله من شبع لانه من باب تسمية الشي بما يؤول
لان قلة العبادة تؤول اي الجوع في الاخرة بالنسبة الي شبع
ومنه قوله تعالى اني اراني اعصر خمرا فسمي العنب خمرا فرب
مخمصة اي مجاعة شر من التخم جمع تخمة ويقال فساد الطعام في المعدة
والصواب فساد المعدة بالطعام وفسرت ايضا بانها ضد المخمصة
ولا يصح فان الشبع ضدها وان لم يتخم واصل التخمة وخمة
فابدلت الواو تاء يعني ان النفس قد تزين لصاحبها تقليل
العبادة بان تقول له الاكثار من العبادة يضر بالبدن فيؤدي
الي العجز بالكلية والكثير منها ربما يؤدي الي الريا فلازم القليل
وداوم عليه ويكون قصدها بذلك الراحة وقد تزين له كثير العبادة
لتكثير الثواب ويكون قصدها بذلك الشهرة حتي يحمد ويعظم
عندهم حتي لو امرهم بامر بادروا الي امتثاله وهذا هو الغاية
القصوى من مطالب النفس المهلكة وهي مفسدة عظيمة فانه
يقصد بعبادته غير وجه الله تعالى لكن هذه المفسدة وان كانت عظيمة
فلها مع الاستكثار من العبادة قد يسلم له كثير منها وان كان يقصد
بها الريا كالفرايض التي لا ريا فيها وما يفعله منها خاليا وكان بعض
المشايخ يقول اجتهدوا في اصلاح ظواهركم فانكم ان فعلتم
يوشك ان تصلح بواطنكم ويحكي ان رجلا تعبد سنين

ليشتري به لك ونودع عنده الامانات لينتفع بها فقد يودع عنده شي
فلما طالت عليه الاشهر وبخ نفسه وقال لو ان هذه العبادة تطلب
ما عند الله لكان الفوز الاعظم فعقد التوبة جزما فلما اصبح
اتى بالمال نعم فقال لصاحبه ماكان بيني وبينه الا الظلام الليل
اذهب بسلام وحاصل ما اشار اليه ان قلة العبادة المستثنى
عنها بالجوع والمخمصة اشرس كثرتها الكاين في بعضها الريا وهي
المكني عنها بالشبع والتخم وما امر بتخليص الاعمال من المفاسد
امر بالتوبة والندم والبكاء على ما عساه وقع منها مفاسدا او على ما صدر
من المعاصي فقال واستفرغ الدمع اي اطلب اراقته بالبكاء
قد امتلئت من المحارم الاثام من اجل النظر الى المحارم التي حرم الله
النظر اليها والزم حمية الندم من حيث المريض للطعام اذا امتنعه
منه كانه قال الزم منع الندم اياك من الوقوع في المعاصي
وبدا بالتفصل من تبعات العين لان البكا علامة الندم
في جميع ما سلف او لان السبب الاعظم في الوقوع في المعصية هو النظر
لان الناظر بنظره فيستحسن فيقع فيما لا يحل وقد قال الله من الفواحش
ما ظهر منها وما بطن بمنه وفضله والبكاء على الخطيئة من افعال العبد
راسي الرتب قال عليه السلام طوبى لمن بكى على خطيئته وانما قال
الناظم واستفرغ ولم يقل وليفرغ لافادة ان ذلك لا يكون الا بالطلب
وتحمل ما يجد من المشقة لا سيما في طلب ما يخالف هوى النفس
والى في الدمع للحقيقة اي لا تبقه فيها ما استطعت وذلك قليل في جنب
ما ارتكبت وخالف النفس والشيطان فيما يدعوانك اليه من التمادي في الغي

وان

وغير ذلك فان مخالفة النفس راس العبادة وترك شهوتها اول
مراتب السعادة ولذا قيل النعمة العظمى الخروج من النفس
لانها اعظم حجاب بينك وبين الله تعالى قال الله تعالى واما من
خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى
وقد سئل بعض المشايخ عن الاسلام فقال ذبح النفس بسيوف
المخالفة وقال سهل بن عبد الله ما عبد الله بشيء مثل مخالفة
النفس والهوى واما الشيطان فعدو لا يخفى وكيف
يتقبل اللبيب نصحه ام كيف يامن العاقل خديعته انظر
فعله مع ابيك وقد قاسمهما اني لكما لمن الناصحين فكيف
بك وقد اقسم ليغوينك اعاذنا الله منهما ثم نبه
الناظم على انه لا يكتفي بمخالفتهما بل لا بد من عصيانهما
فقال واعصهما لانه قد يخالف ما امراه به الى غيره
مما يرضيان به وذلك يحتمل ان يريد خالفهما في المكروه واعصهما
والمحرم ثم قال وان هما محضاك اي طلبا لك النصح فيما ابدياه
لك فاتهم الناصح من كل منهما ومثال ذلك كان تقول النفس متعني
بهذه الشهوة لا سلا منها ثم اتوجه الى الطاعة فارغة او تقول
لمن نوى الجد في العبادة ان الله غني عنك وعن عبادتك فحافظ على
اصل الايمان يكفيك او تقول للمنهمك في العصيان انك قد اجترمت
امورا عظاما لا تقبل لك منها توبة فارحم بدنك واتى بان في قوله
وان هما لانه امر مشكوك فيه بل لا يفرض الا كما يفرض المحالات
فان النصح لا يتصور من جهتهما ولا تتبع منهما خصما في ابتداء الامر

كما اذا اورد كل احدهما الاقدام على المعصية وهذه صورة كون احدهما
خصما فان منهج يزين الاقدام عليها والمامور يدفع ذلك ليخلصه
من سوء العاقبة فيها خصمان وكلاهما الاشتغال بالمعاصي
وهو المراد بقوله **ولا حكما** لانه اذا استولى سلطان احدهما
فالمكلف يريد المنفصل والنفس والشيطان يزين له البقا والنشو
وطول الامل ويضرب له اجلا بعيدا اجل فعال الكفاية بقطعونه
الحقوق والاسراف فيما يعدون اعطايه **فانت تعرف كيد** اي مكر
الخصم والحكم اي فانت تعرف كيد النفس والشيطان اللذين يكونان
كل خصما مرة وحكما اخرى وهذا البيت قريب من معنى البيت
قبله وماحذرت من غوايل الشيطان واشد بهما الهوى عنها ومخالفتها
ومخالفة الشيطان ذاق على نفسه الريا فاخذ يعظها ويستغفرها
طالبا مغفرة الله تعالى فقال **استغفر الله** اي اطلب ستره وتغطيته
من اجل **قوله** صدر مني بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر **بلا عمل**
اي ولبس لي عمل اولما تلبس بعمل موافق لما امرت به وناهيك به قلة
حيا واكبر دليل وفي ذكر فضل الاستغفار طول يخرج من المقصود

وما احسن قول القائل

ولو ان فرعون لما طغى **وقال**

وقال في العذاب انه مستغفرا لما وجد الله الا غفورا ٥ والمراد
من قوله استغفر الله الاستغفار وهو طلب مفعول الثاني مجرور
وهو هنا من قوله ريكو رحذف جاره نحو استغفر الله ذنبا اي من ذنب
لقد نسبت اي اضفت **به نسلا** اي ولدا **لذي عقم** بضم القاف ابتاعا

لقمة

لصمة العيني اي لا يقبل الولد اي ان مثلي فيما تقدمت له من الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر وتخلفي عن العمل كمثل من ينسب النسل
الذي هو الولد للعقيم فكذلك ما نسبت لنفسي من رتبة الوعظ فانها
لا تنسب الا لمن يا تمر وينتهي ولما كان مثلي ما مثلت به غير ظاهر
لكل احد فسره بقوله امرتك الخير بفتح الرا ونزع الخافض تقديره
بالخير لكن ما ائتمرت به اي ما امتثلت وما استقمت اي ما اعتدلت فما
فايدة قولي لك استقم استفهاما للتحقير او للتوبيخ او للتعجب
او للانكار واصل استقمت استقومت نقلت حركة الواو
التي هي الواو لانها حرف علة الى الساكن الصحيح قبلها وقلبت
الواو الفا لسكونها وانفتاح ما قبلها ثم سكن اخر الفعل
للاسناد فحذفت الالف لالتقا الساكنين ولا تزودت اي لا
اخذت من الزاد قبل سفر الموت المفوت للطاعات نافلة
من الاعمال الصالحة التي هي التطوعات بعد ادا الفرايض لذلك
السفر فقد لا يكفي الاحتمال ان يكون فيها نقص يكمل بالنوافل
ولم اصل سوى فرض ولم اصم سوى الفرض ايضا وحذف لدلالة
ما قبله عليه ثم شرع فيما قصده من مدح سيد المرسلين
عليه افضل الصلاة وازكى التسليم بقوله ظلمت اي تركت سنة
سيد المرسلين وعليه افضل الصلاة والتسليم من احيى الظلام بالصلاة
الى ان اشتكت قدماه من قيامه الضر من ورم وسبب تورم
قدميه الشريفين صلى الله عليه وسلم انصباب المواد الكاينة
في اعالي الجسد اليها لسهولة الانصباب وعدم استقرارها في الاعضا

الا المرسل من اعلى الى اسفل والاستلقا او الجلوس او الحركة
يمنع من كثير من ذلك فصارت قدماه بعد ذلك بحالة الشاكي
مانزل به من ضرر ذلك الورم واشار بذلك الى ما روي انه صلى الله
عليه وسلم قام حتى انتفخت قدماه فقيل له اتكلف وقد غفر الله ما تقدم
وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا ونظمه كلمت من الاستيناف البياني
كان قائلا يقول هل انصفت في اقتصارك في الغرض من صلاة وصيام
او كلمت فقال ظلمت وفيه حسن التخلص تنبيه السنة
في اللغة الطريقة في الخير والشر وفي الشرع قول الرسول او فعله
او تقريره وحكم السنة التي فعلها صلى الله عليه وسلم واقر
عليها او فعلها حصلت بطريق الوحي وبطريق الالهام والالقاء
وعن حلاف كاه البيهقي في المدخل ثم اخذ الناظم رحمه الله
يذكر ملازمة رسول الله صلى الله عليه وسلم النهار بالصيام فقال
وشد اي عصب وربط من سغب اي جوع احشاءه واي ما انضمت
عليه ضلوعه الشريفة وطوى تحت الحجارة كشحا مترف اي ناعم الادم
اي شيء من جلد بطنه تحت الحجارة كشحا وهو ما بين خاصرته
واقصر ضلع من جنبه الشريف وانما فعل هذا صلى الله عليه
وسلم ليسكن بعض الم الجوع وانما كان هذا الفعل مسكنا لان
كلب الجوع من شدة حرارة المعدة الغريزية فهي اذا امتلات
من الطعام اشتغلت تلك الحرارة بالطعام فاذا لم يكن فيها طعام
طلبت رطوبات الجسم وجواهره فيتالم الانسان بتلك الحرارة
فتعلقت بكثير من جواهر البدن واذا انضمت الضم على المعدة

الاحشا

الاحشا والجلد فالخمدت نارها بعض الاخماد فنقل الالم وفايدة
الحجر اسران احدهما تشقيل الجلد ليكثر التفامه على الاحشا وهو المقصود
بالشد الثاني ما فيه من البرودة ليسكن من حرارتها المعدة والتعلل
ببرودته فان قيل ثبت في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم حين
نهى عن الوصل وقيل له انك تواصل قال اني لست كهيئتكم اني ابيت
يطعمني ربي ويسقيني فهذه الحالة كيف يتالم بالجوع حتى يحتاج
الى عصب بطنه بحجر فالجواب انما نهاهم عن الوصال ليلا يضعف
قواهم فلا يقدرون على الجهاد ولا على القيام بغيره من العبادات
وانه هو لاجل تالمهم بالجوع خاصة مات التالم سبب الاجر
وافضل العبادات احمزها واذا كان كذلك فهو صلى الله عليه
وسلم حفظ الله تعالى له قوته وانما تالمه بالجوع ليحصل له تضعيف
الاجر مع حفظ قوته ونضارة جسمه حتى ان من راه لا يظن به جوعا
لان حسنه صلى الله عليه وسلم انما كان يرى اشد نضارة من اجسام
المترفين بالنعيم في الدنيا وهذا المعنى هو الذي قصده الناظم
بقوله مترف الادم وهو من باب الاحتراس والتكميل لانه لما ذكر
انه شد من سغب خاف من يتوهم ان جسمه الشريف حينيذ
يظهر فيه اثر الجوع فاحترس ودفع ذلك الايهام بقوله مترف الادم
وقول الجوهري بلا ان ترفه النعمة اطغته ان صح ان هذا
معنى الترف لغة فالاولى ان الناظم ان يقول ناعم مكان مترف
فان قيل فكيف علم جابر بما به صلى الله عليه وسلم من الجوع واخبر
بذلك اسرانه واثر الجوع لا يعرف فيه فالجواب انما عرفه

بعد ان كشف بطنه متهيئاً للحجر كما ثبت في الصحيح ولما ذكر من
جوعه صلى الله عليه وسلم ما ذكر خاف ان يتوهم سقيم القلب عند
سماع ذلك انه من فاقة وعيلة فيستبعد ذلك لما في خلاف
قوله تعالى ووجدك عائلا فاغنى فاردف ذلك بما يدفع هذا
التوهم بقوله **وراودته** صلى الله عليه وسلم **الجبال الشم** المرتفعة
الرؤس في نفسها الا تكون **من ذهب** والشم بعد حيث سار باذن الله
تعالى وان تطاوعه في ذلك نفسها وهذا معنى قوله **عن نفسه**
واسناد المراودة اليها يحتمل ان يكون حقيقة بان يخلق الله
تعالى فيها النطق والادراك وذلك ويحتمل ان يكون من مجاز
التشبيه **فاراها** اي اظهرها حقيقة بان خلق فيها الادراك
او مجازا اي جعلها بتصرفه شمما **ايما شمم** لانها هنت بارتفاعها
الصوري الذهبي ووثقت بان يشم راحتها ويضمها اليه فاراها صلى الله
عليه وسلم في الانفه الشمم الدال على الاعراض عنها وعدم الالتفات
اليها كما رويناه في كتاب الترمذي انه صلى الله عليه وسلم قال
عرض علي ربي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت يارب ولكن
اشبع يوما واجوع يوما الحديث وروي ان الله تعالى ارسل جبريل عليه السلام بذلك
فقال له يا جبريل صف لي الدنيا فقال يا محمد حلالها حساب وحرامها
عقاب فاختار الفقر والدار الاخرة والاظهر في قوله من ذهب ان
يتعلق بمحذوف اي ان تكون من ذهب والمعرض عليه ان يكون كذلك
والذي تقتضيه الاحاديث الدالة في ذلك ان الجبال التي راودته
هي جبال مكة وليس اعراضه صلى الله عليه وسلم عن جبال الذهب عن كثرة

قال

مال بل كان مع شدة الحاجة والضرورة كما فهم من الحديث واشار اليه
الناظم بقوله وأكدت زهده فيها ضرورته اي بعثه وضرورته بالرفع
فاعل زهده انه الضرورة لا تعدو على العصمه لان الضمير يعود معها
على اشرف الاشيا واجلها فضلا عن الحسيه وهم الانبيا عليهم الصلاة
والسلام فيكون مراده الجنس ويحتمل ان يكون المراد الشخص
المعهود فيكون مراده محمد صلى الله عليه وسلم لانه معصوم
جسمه والعصمة قوة من الله في عبده تمنعه من ارتكاب شي
من المعاصي والمكروهات واعلم ان القوم تكلموا في الزهد
باقوال كثيرة وكل نطق عن وقته واشار الى حده فقال الجنيد
الزهد خلو الايدي من الاملاك والقلوب من التتبع وسئل
الشبلي عن الزهد فقال لا زهد في الحقيقة لانه اما يزهد
فيما ليس له فليس ذلك بزهد او يزهد فيما هو له فكيف يزهد فيه
وهو معه وانى له من صدق في زهده انشد الدنيا وابى راحمة
الدانيات لو سقيت قلنسوتي الشهد لما رفعت الا على راس
من لا يريدها واجمع ما قيل في الزهد قول الداراني
الزهد ترك ما يشغلك عن الله وقول الشبلي هو ان لا ترى
سوى الله تعالى ثم استدل الناظم على الحكم الذي نفاه بقوله
وكيف يتصور ان يدعو الى متاع الدنيا ويتهم ضرورة من لولاه
لم تخرج الدنيا من العدم الى الوجود بعد ان لم تكن هذا مراده الا ان في
لفظه تجوزا لان قوله لم تخرج يوهم انها في العدم شي
وحقيقة وانما انتفى عنها الخروج منه الى الوجود ومذهب اهل الحق

انه لا حقيقة للمعدوم حال العدم وانه ليس بشي واذا ثبت ان
وجوده صلى الله عليه وسلم علة لوجود الدنيا فالدنيا محتاجة في
وجودها مفتقرة اليه لافتقار وجود المعلول الى وجود علته فلو
كانت ضرورة تدعو الى الدنيا لكان وجوده معلولا لوجودها وافتقر
في وجوده الى وجودها وهو خلف لان فيه عكس الحقائق من صيرورة
العلة معلولا وبالعكس لان العلة لا تفتقر في وجودها الى
وجود المعلول فان قيل بل تفتقر العلة الى معلولها اذ لا يتصور
بدونه قيل ذلك في العلة العقلية اما الوضعية فلا لان
استلزام العلة معلولها لا من حيث انها لا توجد الا بوجوده بل
من حيث اقتضائها ايجادها وبالجملة فخطابي اقناعي لا برهاني
يعني واذا كانت ضرورة نبينا عليه السلام لا تدعو الى الدنيا
فينبغي لمن يكون على سنته وداخلا في زمرة امته ان يكون كذلك
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فمحبته تعالى
مشروطة باتباع نبيه صلى الله عليه وسلم وكيف لا يزهد في الدنيا واي لو
كانت تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وهذا الذي
اشار اليه الناظم بقوله لولاه لم تخرج الدنيا من العدم محمد سيد
اهل الكونين السماء والارض واهل الدنيا والاخرة و سيد الثقلين الانس
والجن قيل سميا بذلك لانهما ثقلا الارض و سيد الفريقين من عرب ومن عجم
نبينا الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر بارسال الله اياه الينا واما اعتبر
الامر والنهي لانهما ملزومان للرسالة وكلما وجد الملزوم وجد اللازم
وكانه قال نبينا الرسول فلا احد من البرية ابر في قول لا منه ولا نعم

لا

بل هو ابو ويحتمل ان يكون معناه ولا احدا اصدق منه في الخبر المنفي
والمثبت وكني عن المثبت بنعم وعن المنفي بلا وذلك اما باعتبار الخبر
بالاطلاق او باعتبار الخبر عن الثواب والعقاب ونفيهما فاذا اخبر
عن الثواب او العقاب فهو اصدق الناس في خبره ولذلك بيا دراي
الفعال او القول وقوله محمد فيه وجوه من الاعراب احسنها ان يكون
بدلا من ضمير الفاعل في ادى الكلام او من ضمير لولاه على انه منفصل
اذ به يحصل الايضاح بعد الابهام او خبر مبتدا محذوف كما قدرنا
اي هو محمد او مبتدا والخبر الاسم الثاني اي هو الحبيب المحبوب لله او لا منه
الذي ترجى شفاعته لكل هول من الاهوال مقتحم بفتح الحا اي مسدد حو
فيه كرها اسم مفعول من اقتحمت الشي اذا رميت بنفسك فيه
من غير روية والمراد بقوله لكل هول عموم ما يوجد منه صلى الله عليه
وسلم من الشفاعات هذا هو الظاهر من كلامه وهي كثيرة
العظمى وهي في الاراحة مما يصيب الخلايق من كرب الموقف الانس
والجن والمومن والكافر وهي مختصة به صلى الله عليه وسلم وشفاعته
في قوم يدخلون الجنة بغير حساب قاله النووي وهي مختصة به
وتردد ابن دقيق العيد في ذلك ووافقه السبكي وثالثة لمن يريد به شي
واخرى في قوم حوسبوا واستوجبوا النار ان لا يدخلوها ويدخلون
الجنة واخرى في زيادة درجات في الجنة وجوز النووي اختصاصها
به ونيله واخرى في تخفيف عذاب بعض الكفار كابي طالب وزاد
بعضهم اخرى عند الصراط وعند الميزان وزاد احمد شفاعة تامة
وهي شفاعته لمن مات بالمدينة الشريفة كما اخرجه الترمذي

دني العروة الوثقى للعزويني ان من شفاعاته شفاعة
لجماعة من صلحا المومنين ليتجاوز عنهم في تقصيرهم في
الطاعات فتكون الشفاعات تسعة وفي قوله نبينا الاسم
الثاني اشارة الى ان اكتساب الشرف لمن يتبع سنته انما يكون
بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يحسن ذلك حتى يصاحبه
العدل والبر فمن تحلى بهذا الوصف بشروطه استحق ان
ينال ما يشبه رتبته صلى الله عليه وسلم فيقال نبيهم كما نبيك
في نبيه عليه الصلاة والسلام هو الحبيب الذي ترجى شفاعته لان الاتباع
هم العلما وهم ورثة الانبيا وانما ورثوا منهم هذا النوع ولما
لم يكن ميراثهم مستغرقا لم تكن شفاعتهم لكل هول كما هو
في شفاعة مورثهم في الخبر ان الناس يدخلون الجنة فيبقى
العلما فيسالون الدخول فيقول لهم الله تعالى انتم
بمنزلة ملايكتي اشفعوا ثم ادخلوا وادعي كل من بعث اليه من
الانس والجن الى الله اي الى توحيده وطاعته والاقرار له عليه
السلام بالرسالة فالمتمسكون وهم المعتصمون به اي بما
دعى اليه متمسكون بحبل اي بعهد غير منفصم بالفا اسم
فاعل من فصمت الشي فانفصم فصما اذا كسرته قال تعالى
فمن يكفر بالطاغوت ويومن بالله فقد استمسك بالعروة
الوثقى لا انفصام لها ولم يقل فالمجيبون له لان مجرد الاجابة
بالقول ونحوه لا يكفي بل لا بد من الاعتصام بما جا به ولا شك
ان حسن الخلف كالتابع بحسن الخلق والانبيا صلوات

الله

الله وسلامه عليهم احسن الناس خَلقاً وخُلُقاً ونبينا صلى الله عليه وسلم
قد كان النبيين عليهم الصلاة والسلام في كل خَلق بفتح الخا وسكون اللام
اي الخلقة صورةً وشكلاً ولوناً وغيره ذلك وفي كل خُلق كريم بضمه
الخا واللام اي السجية وما طبع عليه من الخصال الحميدة قال بل
كالنسلمانه يفهم من قوله خلق وخُلق ارادة العموم حتى يقدر
بكل فيهما لانهما نكرتان في سياق الثبوت والنكرة كذلك لا تعمه
وحتى لا يكون مدحًا تامًا لان المعنى فاقهم في بعض الخلق
ويحتمل بعد ذلك ان يساويهم في البعض الآخر ويحتمل ان يفوقوه
فيه فقد تحصل المعادلة ان كان ما فاقوه به مثل ما فاقهم به
وقد يكون ما فاقوه به او بعضهم اكثر فينعكس ما قصده من المدح
فاجاب ان المراد خَلقهم وخُلقهم اذ لا يراد خلق وخلق
اياً كان وانما المراد حقيقته منه فهما اسما جنس اضيفا فيعمان لذلك المعقل
على تقدير الاضافة او يكون المراد بهما الحقيقة وهي واحدة لا يقال
الانسانية واحدة لا تفاوت فيها لانا نقول المراد العارض
لها اذ بالتركيب الصوري وهو الخلق او باعتبار الاوصاف المعنوية
وهي الخلق لان هذه الاوصاف فيه وفي غيره خلق الله من غير اكتساب
كما في صحيح مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل ان فيك لخصلتين
يحبهما الله ورسوله الحلم والاناة فقال يا رسول الله انا اتخلق
ام الله جبلني عليهما فقال بل الله جبلك عليهما الحديث نعم يكتسب
الانسان قوتهما بالمخالطة والاستعمال وما ذكره الناظم اشار به الي
ما روي عن مالك بن انس عن ربيعة بن ابي عبد الرحمن انه سمع انس

ابن مالك يقول لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم بالطويل البائن ولا
بالقصير ولا بالابيض الامهق ولا بالادم ولا بالجعد القطط ولا بالسبط
بعثه الله تعالى على راس اربعين سنة فاقام بمكة عشر سنين وبالمدينة
عشر سنين وتوفاه الله تعالى على راس ستين سنة وليس في
راسه ولحيته عشرون شعرة بيضا وعن انس رضي الله عنه
قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين
فقال لي اف قط وما قال لشي صنعته لم صنعته ولا لشي
تركته لم تركته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن
الناس خلقا وما مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيا كان الين
من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا
قط ولا عطرا كان اطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم قال لم ولم يدانوه صلى الله عليه وسلم اي لم
يقاربوه في علم ولا كرم قال ان في الحلم والكرم والاخلاق
في الخلق فما باله خصهما بان النبيين لم يقاربوه فيهما
فالجواب انه انما خص الوصفين لانهما كالمنبع لساير الاوصاف
الحميدة فاذا كان لا يقارب فيهما ففي غيرهما اولى واصل الاخلاق ن
كلها العقل ومنه تنبعث العلم وقد اعطى صلى الله عليه
وسلم من العقل ما لا يقاربه غيره فيما اعطى منه قال وهب
ابن منبه فيما حكاه عنه في الشفا قرات في احد وسبعين
كتابا انه صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم
رايا وفي رواية وجدت في جميعها ان الله تعالى لم يعط

جميع

جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقال في جنب
عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل من رمال الدنيا وكلهم من
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ملتمس اي طالب غرفا من البحر
اي بحر كرمه او رشفا من الديم اي ديم كرمه فيكون قوله
من البحر والديم بدل اشتمال من رسول الله وحذف
الضمير الرابط بين بدل الاشتمال والمبدل منه وابدل ال
في البحر والديم نائبه عن ذلك الضمير كما هو راي الكوفيين
في هذا نحو فان الجنة هي المأوى اي مأواه وعلى راي البصريين
يكون التقدير من البحر له او من الديم له او نحو ذلك والديم
جمع ديمة وهي المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق يدوم
يوما وليلة والرشف الاخذ باطراف الشفة وقال
الجوهري المص وفي ذلك التشبيه البديع لانه شبه
علمه بالبحر وكرمه بالديم وما اخذه الانبياء منهما بالغرفة
والرشف ووجه تشبيه العلم بالبحر انما لاتساعه والاطلاع
غوره والالات العائق فيه لتستخرج الدرر ووجه تشبيه
الكرم بالديم ما يحصل من النفع به وانما خص الرشف بالديم
والغرف بالبحر لانه يجري على سطح الارض فلا يستمع منها ما هو
كالبحر حتى تغترفه فان قلت ان الله صلى الله عليه وسلم متأخر
الزمان عن الانبياء فكيف يطلبون منه فالجواب انهم
من بحر علمه وديم كرمه كما تقدم وهذا الايه لزم الحادر زمان وجودهم
ولا علمهم ببعثته صلى الله عليه وسلم ولكن سالنا الله الا به الهمهم

هذه الطلب من تقوم بعز علمه وبه كرمه فذلك حاصل لهم
ما اعطوا به من نعته وصفاته قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق
النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول الاية وقال
تعالى الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل وافرد
الضمير لرجوعه الى صفة العلم وهي واحدة وجمع الدائرة لرجوعه
الى كرم الطباع وهي اخلاق متعددة وكالعهد صلوات الله وسلامه
عليهم والنقوش اي ما بينتوا لعيه لديه عنه حرم الذي حتى لهذا لا يتعدونه
اي منتهى مرتبتهم علماً وكرماً من نقطة العلم او من شكله الحكم اي من الحكم
لعظمته من بحر علمه وشكله من ديم حكمه وخص النقطة
بالعلم لانها تتميز ذوات الحروف المتشابهة الصور والعلم
خاصته التمييز كاحد اهل الاصول بانه صفة توجب تمييزاً
لا يحتمل النقيض واضاف الشكلة للحكم لان فائدة الحكمة
وضع الشيء في المكان الذي يستحقه على اكمل وجه ليلا يختل
النظام وهذه فائدة الشكلة لانها تضاف الحكم الى صاحبه
ويزول اللبس وفي ذلك التورية الخطية ووجه التورية
الكتبية ان تقول النظر ما لنسبة النقطة الواحدة التي من اسباب
العلم اي نفس العلم والى ساير اسبابه وكذا الشكلة التي هي
صفة حسن الى ساير المحاسن وصفاته وذلك وعند متساويات
في الامر وقيل عند الحاضر والغايب والذي الحاضر ثم قال
فهو الذي تم اي كمل معناه وصورته اي خلقه وخلقه
ثم اصطفاه حبيبا باري النسم آدم بين الماء والطين وان جعلت

ثم

ثم لتزيين الاخبار بالمدح فالتقدير ثم اصطفاه بعد الكمال صورة
ومعنى وهذا بعيد لان اختياره كان وادم بين الماء والطين
كما علم وانما قال بارى النسم لتخصيص هذا الوصف من بين
سائر اوصافه تعالى تنبيها على ان محبته الله له خلقه اياه على تلك
الصورة وتوفيقه لتلك الاخلاق الحميدة التي جاءت الاعراض
عما سوى الله تعالى ولا شك انه **منزه** صلى الله عليه وسلم اي
مبعد **عن** وجود **شريك في محاسنه** الشريفة **فجوهر الحسن فيه غير منقسم**
اي حقيقة الحسن الكامل كاينة فيه لانه الذي تم معناه
دون غيره وهي غير منقسمة بينه وبين غيره والا لما كان
حسنه تاما لانه اذا انقسم لم يحله الا بعضه ولا يكون تاما
والعرض حالا فيه ... قوله فيه خبرا عن قوله جوهر
الحسن فان قلت ان شريك نكرة في سياق الثبوت فلا تعم
كل شريك فيكون المعنى منزه عن بعض الشركا في المحاسن
فالجواب انه في سياق النفي لان معنى منزه من شريك اي
لا يوجد له شريك كانه قال بنوعي من وجود شريك فاعلم **دع** اي
اترك **ما ادعته النصارى في نبيهم** وهو الله عيسى عليه السلام
من نسبته الى الالهية على اختلاف ارائهم في ذلك بل قل هو عبد الله
ورسوله **واحكم بما شئت مدحا فيه** غير ان لا تدعي ما ادعته النصارى
في عيسى عليه السلام كانه قال ان سمعت فيه مدحا باي شي كان
ما عدا ما ذكرنا فاقض بصحته ولا تكذب قائله فمعنى بما شئت
اي بصحة ما شئت مما سمعت لانه مما يستند عليه الحكم محكوما

فيه ولابد ان يكون الله تعالى حاكم راضي بقوله **واحتكم** استظهر
على ان المحكوم عليه يحتاج مدحه يرضى بحكمه في ذلك يجعل
لك جارة الحكم وهو احتراس كما يوهمه احكم ان ذلك
لسلطان الحاكم وقهره لراد الحكم معه له فانه من احكم
الذي يرتضيه المحكوم عليه به وفايدة الاضافة في قوله
فيهم الرد عليهم فانهم يسلمون انه فيهم ثم يدعون له الالهية
والمعهود في النبي انه من البشر وليست الاضافة للاختصاص
فان ذلك يوهم في انه ليس نبي لنا ايضا وليس كذلك
بل نبي لنا يعني امانون بنبوته لانه صاحب شريعتنا
وهو مبعوث فينا اماما ويوهم ايضا ان محمدا صلى الله عليه
وسلم ليس نبي للنصارى وهو باطل **وانسب** انت
لنفسك **الى ذاته** الشريفة **ما شئت من شرف وانسب** ايضا
الى قدره العظيم **ما شئت من عظم** فالامر الاول في قوله فاحكم
بعده ما شئت من المدح والثاني بما شرع المدح واستانيه وهذا
التفسير يدفع قول من قال وانسب الى ذاته البيت
لم يجد اي تفصيل ما اجمله البيت قبله **فان فضل رسول الله**
صلى الله عليه وسلم **ليس له حد** اي ليس له نهاية **فيعرب** بالنصب
باضمار ان بعد الفا التي في جواب النفي الذي افادته ليس
واذا كان لا حد له فكيف يعربون عنه **ناطق بفم** ولما كان
قدره صلى الله عليه وسلم لا حد له لزم من ذلك ان جميع ما ظهر على يديه
من الايات لم يكن شيء منها يناسب القدره كما اشار اليه بقوله **لو ناسبت**

اي مثلث **تدره اياته** التي هي اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم عطا اسمه
الشريف **حين** اي وقت **يدعى داري الرمم** جمع رمة بالكسر وهي العظام
البالية صلى الله لو ناسبت شيء من اياته التي هي تسبيح الحصى في كفه
وانشقاق القمر وتسليم الاشجار والغزالة عليه قدره لكان من جملتها
انه اذا دعي داري الرمم مع ذكر اسمه الشريف احياه الله تعالى بسبب ذكر
ذلك الاسم الشريف كان يقول يا ميت عش باسم محمد صلى الله عليه
وسلم اي ويجوز ان يكون داري منصوبا بادعي او يكون في يدعي ضمير
مرفوع نايب عن الفاعل والتقدير ادعى هو كذا اسمه داري الرمم حين
يدعي او اي داري الرمم مصاحبا لذكر الاسم المبارك ويحتمل ان يكون من
يلدني يعني يذكر اي ادعي اسمه داري الرمم حين يذكر هو اي اسمه وداري
على هذا مفعول ادعي فان **قيل** ان الاصمعي يعطي ان شيا من اياته صلى الله
عليه وسلم لم يناسب قدره لان حرف لو امتناع لامتناع اي امتنعت
المناسبة المذكورة لامتناع مناسبة شيء من اياته قدره وهذا باطل لان
من اياته القران وهو كلام الله والكلام صفته وشرف الصفة بشرف الموصوف
فكيف يصح ان يقال صفة الله لم تناسب قدر النبي صلى الله عليه
وسلم **فالجواب** ان المراد بالقران كلام الله الذي هو صفة
ذاته وهذا المعنى قايم بذاته سبحانه وتعالى ولا يفارق الذات
واطلاق القران عليه بمعنى المعرف وهذا لا يكون معجزا لان المعجزة
فعل الله خارق للعادة وهذه صفة للذات ويراد بالقران
الحروف والاصوات التي تسمع او داع القاري وهذا هو المعجزة
واطلاق القران عليه بمعنى القراءة ومدلوله المعنى القديم

والموالد الى عليه وهذا هو مراد الناظم لانه لا يراد بالاية المعجزة حتى يمنع ان يكون الحروف
والاصوات مناسبة لقدره صلى الله عليه وسلم وانما كانت الايات
الظاهرة على يديه لم تناسب قدره الشريف لانه لو اتت اياته
على مناسبة قدره لاعيانا فهم ذلك لقصور قدرنا عن قدره كما اشار
اليه لم يمتحنا اي لم يختبرنا بالتكليف والتفهيم بما تعيي العقول به
اي تكل بسببه فلا تفهمه حرصا علينا اي لاجل حرصه على هدايتنا
فلم نرتب اي فلم نشك فيما يلقي الينا ولم نهم فيه اي لم
نتحير في ذلك قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ولا رحمة
مع التكليف فان قلت كيف قال لم يمتحنا بما تعيي العقول به وفي القران
المتشابه الذي لا يعلم تاويله الا الله فالجواب ان هذه المسئلة
مسئلة خلاف والمحققون ان الوقف على قوله في العلم لان الخطاب
بما لا يفهم بعيد فيعلم تاويله ايضا الراسخون في العلم فاذا
علموه علموا غيرهم او يقال لم يمتحنا بكونه اعيانا وما يرجع
الى ما كلفنا به لا يكلف الله نفسا الا وسعها وما جعل عليكم في
الدين من حرج والمتشابه ليس من ذلك اذ لا يتعلق به تكليف
وتمام تحقيقه في علم التفسير ثم قال اعيي الورى اي اعجز
الخلق فهم معناه اي فهم تفصيل احواله السنية وصفاته
العلية فليس يرى القرب والبعد فيه غير منفحم اسم فاعل من افحم اذا اسكت
ولم يجب فليس يرى من الخلق المفكر في ادراك تلك الاحوال
القاصدين طلب الاحاطة بها سواء عند القرب منه او عند البعد
غير منقطع عن ادراك ذلك المرام وقصد ودعى بلوغ ذلك المقام

والاسناد

واسناد الاعيا الى الفهم من المجازي اعياهم الله عن ادراكه وفي الجمع
بين الاعيا والافحام وبين الفهم والمحي وبين القرب والبعد
مراعاة النظير وفي القرب والبعد الطباق واللام في للقرب بمعنى عند
او مع ثم شبه عدم الاحاطة بكنه معناه مع القرب والبعد بالشمس
فقال كالشمس اي هو كالشمس تظهر للعينين من بعد بضم العين
اتباعا لضمة البا واصلها السكون صغيرة قدر الترس وتكل الطرف
من امم اي من قرب وسميت الشمس شمسا لبعدها وسرعتها
ومحلها الفلك الرابع ذكر اهل الهيئة ان جرمها قدر
الارض مائة وبضع وستين مرة وعن الشعبي قدر الدنيا
مائة وعشرون وعن ابن عباس وعكرمة كقدر الدنيا فهم معناه
صلى الله عليه وسلم كالشمس تظهر للعينين من بعد صغيرة
وان كانت في نفس الامر اعظم من الارض بكثير واما من امم
اي قرب تكل الطرف اي تعييه وهذا يحتمل وجهين اما ان يكون
اعيا وها الطرف عن الاحاطة بجملتها لعظم جرمها واما ان يكون
اعيا وها الرؤف من الاحاطة بها مع القرب من اجل قوة شعاع نورها
فانه يرد البصر خاسئا كليلا ووجه التشبيه ان البعيد منه صلى الله
عليه وسلم انما يحصل له التأثر اليسير بالوصف فهو يقف عند ذلك القدر
فقد ادركه على خلاف ما هو به كمدرك الشمس مع البعد واما القريب
منه المشاهد لانواره واياته التي تظهر عينه عن البصر والبصيرة
عن الاحاطة بجملة معناه يعظم واعلم ان من خصه الله تعالى
بمعارف الالهية وتخلق بالصفات الربانية كان بالنظر الى ذاته

وحقيقته قريباً من البشر وبالنظر الى اخلاقه وافعاله بعيد عن ادراك
الناظر لانه بالنظر الى افعاله والارتقا الى احواله خارج عن طوره
الموصوف وانما يحصل ذلك بقطع العلايق التي تشغله عن ربه
حالياً فاذا ابلغ هذه المرتبة خير الورى الركانون الى غير الله من
المخلوقين في اثره يقولون لما استولى في قلوبهم باي شي اخذ
هذا عنا مع انه من جنسنا فان نظروا الى بشريته وباي حالة يعده
باعتبارها لو عليهم رآوه صغيراً وان تفكروا في خصايصه وباي حالة
قومه رجع طرفه خاسياً حسيراً وهذه صفات الواحد في الانبيا والواحد
في الاوليا فلا الناظر الى البشرية رام الطريقة ولا المتفكر في الخصايص
ادرك الحقيقة وحتى يشبه ذلك الواحد بالشمس في الاولياء المذكورين
وفي الانبيا بدا انواره على من دونه ممن يشاركه في مطلق المولد
وهم الكواكب المستمد نورها من نور الشمس وكيف يدرك في الدنيا
حقيقته صلى الله عليه وسلم قوم نيام تسلوا عنه بالحلم بضم اللام
اي لا يدرك حقيقته قوم صفتهم كما ذكر لايقال يختص في تقديس
تسليم عمومه بقوله نيام كما نقول هو وصف لازم لا مخصص
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا
والمعنى ان من في الدنيا لا يدرك الحقايق المتمحضة للاخرة
لان نفس الدنيا حجاب بينه وبينها كما يحجب النايم النوم عن ادراك
احوال اليقظة وكذا هو حال جميع الورى لا يشاهدون تفضيل محمد
صلى الله عليه وسلم في ساير الخلق صحابة وتفضيلاً كما ادركوه في الجملة
الا يوم القيامة حيث يبعثه المقام المحمود الذي يغبطه فيه

الاولون

الاولين والاخرين وحيث بوتي الوسيلة وهي الدرجة التي
لا ينالها الا عبد من عبيد الله غيره فالمراد بكونهم بيانا اي احيانا في
الدار الاخرة وشبهوا بالعايد لما قررناه ثم قال **فمبلغ العلم**
اي منتهى علم الورى **فيه انه بشر** خصه الله بالرسالة
والخلافة **وانه** بفتح الهمزة **خير خلق الله كلهم** اي خير مخلوقاته
فعيل بمعنى المفعول ويفهم من قوله كلهم انه اراد المخلوقات
العقلاء لانه ضميرهم ويدخل فيه الملايكة والانس والجن
كما هو مذهب اكثر السنيين **وكل اي** اي معجزات **اتى الرسل**
الكرام بها فانما اتصلت تلك المعجزات **من نوره** صلى الله عليه وسلم
بهم فان نوره صلى الله عليه وسلم كان مخلوقا قبل ادم عليه
السلام وانتقل اليه ثم الى الاصلاب الى ان تحمل الامهات
لينتقل اليهن ولم يقل فانما هي من نوره لان قوله اتصلت من
نوره يعطي ان نوره لم يزل في مثابه ولم ينقص منه شي بخلاف
فانما هي من نوره فانه يوهم انه وزع عليهم وقد لا يبقى له منه
شي فاحترز عنه بقوله اتصلت من نوره بهم ويدل على قصده
هذا المعنى قوله **فانه** صلى الله عليه وسلم **شمس فضل هم** اي الانبياء عليهم
الصلاة والسلام **كواكبها يظهرن** تلك الكواكب **انوارها** اي
انوار تلك الشمس التي هي كناية عنه صلى الله عليه وسلم **للناس في الظلم**
اي حال غلبت عمى الجهل وظلمة الكفر ووجه هذا التشبيه
ان الكواكب على ما تقرر في علم الهيئة اجرام غير مضيئة بذاتها
لكنها صقيلة تقبل الضوء وجرم الشمس اكبر من الارض فهي

اذا كانت تحته حالة غيبوبتها بنفيض نورها عن جوانب الارض فتطلب الصعود لكونه نورانيا يطلب مركز العلو فيصادف اجسام الكواكب الصقيلة القابلة له فيرتسم فيها فتضي في الظلمة وتظهر انوار الشمس فيها لمناسبة من غير ان ينقص من نور الشمس شي فجميع انوار الكواكب انما هو من نور الشمس فلذلك شبه نور رسول الله صلى الله عليه وسلم بنور الشمس وما ظهر على يدي الرسل سواه من الانوار فانما هو من نوره الفايض من غير ان ينقص من نوره شي وهذا التشبيه لعل الناظم اخذه من قول النابغة

الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
فانك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

فان قيل انه صلى الله عليه وسلم متاخر الوجود عنهم وانوار كل منهم متقدم عليه فكيف تكون انوارهم من نوره
فالجواب ان نوره متقدم وان تاخر وجود ذاته وكالة الشمس اذا ابدت لم يبق اثر الكواكب وانما يظهر اثرها حال غيبتها وهو حال الظلمة فلذلك اياته صلى الله عليه وسلم وشريعته لما بدت نسخت غيرها من ساير الشرايع وزعم اهل الهيئة ان اصغر كوكب نراه بقدر الارض ثمان مرات واكبرها بقدر ارهاعشرين مرة وهذا انما يحتاج الى التوقيف اذ لا يتم في هذا الباب الحزر والتخمين والله اعلم ثم اخذ الناظم يذكر بعض ما اتصف به مما اوجب له الحكم بانه خير خلق الله فقال اكرم صبغة

امر

اسد ومعناه التعجب بخلق منتزحما المعجمة صورة نبي موصوفة
بانه شمس فضل دانه اي زان ذاك النبي المشبه به او زان
ذاك الخلق خلق بالحسن مشتمل بالبشر متسمه كانه صار
لحسن له كالثوب فهو مشتمل به ومتسم بالبشر متهلل
بطلاقة الوجه قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم فخلقه صلى الله
عليه وسلم الذي هو انه كالزهر في ترف اي تنعمه
ونضارة جسمه وطيب رائحة وهذه صفة الازهار غضة
الجسم رطبة طيبة الرائحة ويزيد نور النارنج بياض اللون
الذي ليس بالامهق كما هو بياض نبينا صلى الله عليه وسلم
ويعد الاشارة الى انه لا عبرة بحسن الصورة وجمالها ان
لم يصحبها الخلق الجميل كما لا يفيد قبح الصورة مع الفعل الجميل
ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اجسامكم انما ينظر الى قلوبكم
واعمالكم والبدر في شرف اي وذاته ايضا في الشرف والحسن كالبدر
وهذان الوصفان يرجعان الى الصورة والخلق المشتمل على الحسن
والبدر القمر عند تمامه وهو يدور البروج الاثني عشر ويقطع الفلك
كله في مدة ثمانية وعشرين يوما وبعض يوم ويقيم في كل برج يومين
وثلث يوم بالتقريب ويقيم في كل منزلة من منازل القمر الثمانية
والعشرين منزلة يوما وليلة ويظهر عند الهلال من ناحية الغرب
بعد غروب جرم الشمس ويزيد نوره كل ليلة قدر نصف سبع حتى يكمل
نوره ويمتلأ في ليلة الرابع عشر من الهلال ثم يأخذ من ليلة الخامسة
عشر في النقصان ينقص من نوره نصف سبع كما بدا الى ان يمحق

بلغ مقابلة

نوره في آخر ثمانية وعشرين يوماً من هلاله والبحر في كرم والدهر في همم
بكسر الهاء وفتحها جمع همة وهي الارادة وهذان الوصفان يرجعان
الى خلقه الكريم ولا يخفى بكرم البحر فلانه خالٍ وهو الذي سخر لكم
البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها الاية
وهذا من كرم البحر فما بالك بكرم من البحر نقطة من جوده والاحاديث
الدالة على كرمه صلى الله عليه وسلم كثيرة لا نطول بذكرها وحسبك
قول القائل ان محمدا ليعطي عطاء من لا يخشى الفقر ووجه
التشبيه بالدهر ان الكائنات الدقيقة والجليلة انما تقع في الدهر
منسوبة اليه فكاهل يسند الفعل اليه والموحد المومن يعتقد
ان المؤثر في جميع الكائنات هو الله تعالى فاذا اسند الى الدهر
نوع سبب له مجاز لانه واقع فيه وهذا الكون هو نهاره ولياليه
كما انها سند الصوم الى النهار والقيام الى الليل مجازا لوقوعهما فيهما
ومن نسبة الهمة الى الدهر قول معاوية رضي الله عنه نحن الزمان
من رفعناه ارتفع ومن وضعناه اتضع وهمته ارفع من فضله الله تعالى
على سائر المخلوقات في اختلاف انواعها فهو العالي الهمة في الدنيا والاخرة
كانه صلى الله عليه وسلم والفرد اي وحده من جلالته اي من اجل جلالته
التي كانت به ويروى والفرد في جلالته بفي الظرفية فاما على رواية من
فالمعنى على التعليل وعامله العامل في حركات والفرد عسكر والتشبيه
قوله وهو فرد على هذا جملة حالية واما على رواية في فان معناه سببية
نحو قسكم فيما افضتم فالمعنى كمعنى من سواء وان جعلته للظرفية وعلقته
بالسببية على ان يكون الفرد بذكر وجه التشبيه فالمعنى انه متعدد

ان

وان علقتها بمفرد وجملتها صفة له فالمعنى انه منفرد في الجلالة
وقوله وهو فرد في جلالته بحاله جملة اعتراض افادت ذلك المعنى
في عسكر اي جيش عظيم حين تلقاه وفي حشم اي خدمه الكاين
به تيهل قوله حين تلقاه من الحشو لتمام الوزن والظاهر انه اراد به
ما اراده علي رضي الله عنه في قوله من راه بديهة هابه ومن خالطه
احبه فقوله حين تلقاه كقوله بديهة كانما اللولو المكنون اي
المصون في صدف من معدني بكسر الدال وفتح النون وسكون اليا
منطق منه ومبتسم بالفتح موضع الابتسام والتبسم كالضحك دون الضحك شبه الفاظه صلى الله عليه وسلم التي ينطق بها في
فصاحتها وحلاوتها وحسنها النفيسة لكونها الفاظ من اوتي
جوامع الكلم وشبه ثغره وهو ما يبدو من ثناياه واسنانه
عند التبسم في حسنه وتناسبه وصفائه وبياضه باللولو
والمراد بالمسي بالجوهر المصون في اصدافه وهو المحار التي
يتولد فيها وقاله يحفظه من التغير حين ينشق عنه كان القلب
وعا الكلام النفسي حتى يبرزه اللسان وكان الفم الشفتين
في الثغر كالوعا له وعند التبسم تبرز ومعنى البيت كان الذي
كان مصونا في صدف معدنه من محاسنه صلى الله عليه وسلم
احدهما حدث كلماته والثاني معدن ابتسامه اما فصاحة لسانه
وبلاغة قوله فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الافضل والموضع
الذي لا يجهل وحسبك قول بعض الصحابة له ما راينا الذي هو افصح
منك فقال وما يمنعني وانما نزل القران بلسان عربي مبين
ومن التشبيه باللولو الذي قصده الناظم ما في حديث ام معبد كان

صلى الله عليه وسلم حلو المنطق فصلًا لا نزرًا ولا هذرًا كان منطقه
خرزات نظمن وكان جهير الصوت صلى الله عليه وسلم كثيرًا
واما التشبيه تبسمه باللؤلؤ فمن ذلك قول بعض ناعتيه كان
اذا ضحك افترّ عن مثل سنا البرق يجلي بذلك بياض ثغره
وصفاوته وعن مثل حب الغمام يعني في تناسبه وحسن
نظمه وصفاوته وقالت اذا تكلم رئي كالنور يخرج من ثناياه
وهذه كلها صفات اللؤلؤ ولما كان ضحكه وغالب امره تبسمًا كلا لله
دو قاره صلى الله عليه وسلم ولما مدح خلقه وخلقه بما يليق
بهما حال الحياة اخذ يمدح تربته التي دفن بها فقال لا طيب
في الوجود يعدل تربًا ضم اي جمع اعظمه بال وذلك التراب افضل وارفع
من كل طيب لكونه اشتمل على جسد المصطفى صلى الله عليه وسلم طوبى
لمنتشق منه وملتثم اي طوبى لمن عفر وجهه بتربه وتمارك مثل الشام
الهو من التقبيل والاول اولى لان تقبيل القبر الشريف مكروه
بل يستحب لزائر قبره الشريف ان يقف بعيدًا خارج الحجرة
تعظيما له صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون قوله طوبى اخبار
بحرو لان تربه لما كان الطيب الطيب حصلت الطوبى اي الطيب به
للمنتشق منه والملتثم وكانه اشارة الى ان الموضع المستحلين في
الطيب لانه انما يستعمل بالشم ويحتمل الا تكون طوبى الجنة او شجرة
فيها ويحتمل انه اراد الدعاء للمنتشق من تلك التربة العظيمة
والملتثم ويحتمل ان يكون اراد الاخبار اي انه بذلك طوبى والاحتمال
الاول في طوبى مبني على ان المراد بان تربته افضل انواع الطيب باعتبار
الحقيقة الحسية وذلك اطالته كذلك في نفس ادراكه من ادركه اولا واما

باعتبار

باعتبار انتفاء الموس في ذلك فان الموس لا يدل لشم رائحة تربته صلى الله
عليه وسلم شيا من الطيب والاحتمال الثاني مبني على ان المراد انها
افضل انواع الطيب كما قال فيل لو كان المراد الحقيقة الحسية
لادرك ولكن كل احد لان المسك مثلا يدرك طيب ريحه كل احد
فالجواب لا يلزم من فيما مر بمحل ادراكه لكل احد بل حتى توجد الشرايط
وتنتفي الموانع وعدم الادراك لا يدل على عدم المدرك وانتفا الدليل لا يدل
على انتفا المدلول فالمزكوم لا يدرك رائحة المسك مع ان الرائحة
قايمة بالمسك لم تنتف ولما كانت احوال القبر من امور الاخرة
لا يدركها من الاحيا الا من كشف له الغطا من الاوليا لان متاع
الاخرة باق وليس في الدنيا باق والفاني لا يتمتع بالباقي في الدنيا و
وقد قال عليه السلام القبر اول منزلة من منازل الاخرة
فاما روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار ولا شك
ان قبره صلى الله عليه وسلم روضة من رياض الجنة وما بين
المبدا والمنتهى تديد خال في حكمه اما القبر فللخبر العام الذي
نقل هنا او هو في قبره صلى الله عليه وسلم احرى واما المنبر
فلقوله في اخر الحديث ومنبري على حوضي والحوض من الجنة واذا
تقرر كون هذا المكان الشريف من الجنة لم يبق عند العاقل
المصدق بالشريعة امتراء في انه لا طيب من الدنيا فان قيل
هذا مبني على ان قوله من رياض الجنة حقيقة وذلك متعذر لان
الجنة في السما كما دل عليه قوله عليه الصلاة والسلام ان سقفها عرش
الرحمن وهو فوق سبع سموات وكيف يكون ما هو في السما في الارض

فالجواب ان الحديثين يحتملان الحقيقة والمجاز اما الحقيقة
فبان يكون ما اخبر به عنه بانه من الجنة ان يكون مقتطعا منها
كما ان الحجر الاسود منها والممتنع ان تكون السما ارضا لا ان يوخذ
شي من السما ويجعل في الارض او بالعكس واما المجاز في القبر
فبان يكون من مجاز التشبيه بان يشبه القبر بسعته وطيب
رايحته وسلامته من الافات بمكان من الجنة وهذا شايع بان
يوصف المكان لانه من الجنة واما فيما بين القبر والمنبر فبان يكون
من اطلاق المسبب على السبب فان ملازمة ذلك المكان للصلاة
والعبادة سبب في نيل الجنة وهذا التركيب الذي بينته الشريفة
قد دل عليه واظهره ايات مولده كما اشار اليه بقوله ابان اي اظهر
مولده صلى الله عليه وسلم اي ايات ولادته او ايات زمان ولادته او ايات
مكانه عن طيب عنصره وهو اصله اي اباه الذين تناسل منهم اي
ابان اخو الخضر وما شوهد فيهم من نوره المنتقل من واحد الى اخر
منهم الى ابائه وغير ذلك مما ظهر عليهم من اياته مما يدل على طيب
اصله ونسبه واشار بقوله ياطيب مبتدا منه ومختتم منه الى قول
علي بن ابي طالب رضي الله عنه لنبي فينا سفاح كنا نكاح من ادم
ابينا والله اي قوله ياطيب المراد به التعجب كما لا يخفى حقيقة
الالف فيه او التنزل منزلته والعرب اذا استعظمت شيا نادته
على سبيل التعجب وفي قوله ومختتم ايجاز الحذف اذ التقدير
منه كما تقدم فهو من الحذف في الاول لدلالة الاوايل نحو والذاكرين
الله كثيرا والذاكرات اي كثيرا واسناد ايات الى مولده من المجاز

العقلي

العقلي وكل محل لجلت آياته الي عنصره لاستيشافها ومن ايات ولادته
عليه الصلاة والسلام ما ذكر عن امه انها قالت لقد اخذني الطلق
واني لوحيدة في منزلي وعبد المطلب في طوافه يوم الاثنين فسمعت
وجبة هالتني ورايت كان جناح طير ابيض مسح فوادي فذهب رعبي
وكل وجع وكنت عطشي فاذا بشربة بيضا فشربتها فاتاني نور عالي
واذا بنسوة كالنخل طولا كانهن من بنات عبد مناف احدقن بي
فتعجبت وقلت يا غوثاه من اين علمن بي واسمع الوجبة في كل ساعة
اعظم فاذا بديباج ابيض مد بين السما والارض وقايل يقول
خذوه من اعين الناس ورجال في الهوي بايديهم اباريق من
فضة وعرقي كالجمان واقول ليت عبد المطلب عندي واقبلت
قطعة من الطير من حيث لا اشعر كانت مناقيرها الزمرد واجنحتها
الياقوت فكشف عن بصري ورايت مشارق الارض ومغاربها ورايت
اعلاما ثلاثة علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما بالبيت فاشتد بي المخاض
وكاني مسندة الي النسا فكثرن علي فولدت محمدا صلي الله عليه
وسلم من ساعتي فنظرت اليه فاذا هو ساجد لله عز وجل ثم
رفع راسه الي السما كالمتضرع المبتهل وروي ان الشفا ام عبد الرحمن
ابن عوف قالت لما سقط رسول الله صلي الله عليه وسلم في يدي
سمعت قايلا يقول رحمك الله واضا لي ما بين المشرق والمغرب حتي
نظرت الي قصور الروم وولد صلي الله عليه وسلم مختونا مقطوع السرة
وروي الطبراني انه وقع الي الارض مقبوضة اصابع يده مشيرا
بالسبابة كالمسبح بها وروي عن عثمان بن ابي العاص عن امه

ام عثمان الثقفية واسمها فاطمة بنت عبد الله قالت حضرت ولادة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرايت البيت حين وقع قد امتلا
نورا ورايت النجوم تدنو حتى ظننت انها ستقع علي وفي هذا
البيت اشارة الى ان السعيد من سعد في بطن امه والشقي
من شقي في بطن امه كما في الصحيح وانه لا يستحق احد
على الله شيا يخص من يشا بما يشا اذ السعادة اصلها التخصيص
فمن سبقت له من الله السعادة فيا طيب مبدا امنه وحسن مختتم
ومن ظهر عليه الانقطاع الى الله والركون الى عبادة مولاه
فعسى ان يطيب اختتامه ختم الله لنا وللمسلمين بالحسنى
ومن اياته صلى الله عليه وسلم ما ذكره بقوله يوم تفرس اي تتبع
ونظر فيه الفرس انهم قد انذروا اي اعلموا بحلول البوس والنقمة جمع
نقمة اي نظرهم في ذلك الامارات التي اخبرتهم بها علماؤهم
وكهانهم في ظهور امر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كاين
وان ما انذرهم كاهنهم من خراب ملكهم والتشتيت اصرهم
وتفريق ثيابهم على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويد اصحابه القايمين بشريعته الى ذلك حالهم وهو
ما اراده بقوله البوس والنقم واراد بيوم الزمان الذي كانت
فيه الفراسة الذي هو مقابل الليلة وذلك البوس
وتلك النقم هو تمزيقهم كل ممزق كما دعى عليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم والفرس بضم الفا امة عظيمة كان مسكنهم
في شرق العراق واختلف في نسبهم من ولد هدرام بن ارفخشذ

ابن

ابن سام بن نوح وانه وُلد له بضعة عشر رجلاً كلهم فارس شجاع
فسموا الفرس لذلك وقيل غير ذلك مما يطول ذكره ثم عطف
على الفرس قوله وبات ايوان ملك الفرس كسرى وهو منصدع اي
منشق كشمل اصحاب كسرى غير ملتئم اي غير مجتمع وصارت
النار التي يعبدونها في ذلك اليوم خامدة الانفاس لا لهب
لها تلك الليلة من اسف عليه اي من حزن على انصداع الايوان
هذا ان كان المراد بالاسف الحزن وان كان المراد به الغضب
فالضمير عايد على النبي صلى الله عليه وسلم سبب في ترك عبادتها
وذلك انه لما وُلد رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتعدت تلك
الليلة ايوان كسرى انوشروان بن قباذ بن فيروز وسقط
من قصره اربعة عشر شرافة وكتب اليه صاحب الفرس
يخبره بان بيوت النيران قد خمدت تلك الليلة ولم تكن خمدت
قبل ذلك بالف سنة وصار النهر الذي بانهر ساهي العين تلك
الليلة اي سكنت جرية عينه التي هي مادته من سدم اي من ندم
وحزن ويحتمل ان يكون سكون العين مجازاً العدم جرية الماء الات
الماء الجاري لا يسكن بل يخلف بعضه بعضاً كالعين اليقظى فانها لا تنام
المراد بعد المرة وفي هذين البيتين اشارة صوفية وهي انه اذا صحت
التوبة واستقامت خمدت انفاس نار النفس الامارة وسلت عين
نهرها من الشهوات التي كانت متوالية عليها مثل ما النهر ولا يري
لنار غضبها الذي كان لها متطاول ولا لما جرها الذي الفت شربه
السجام حزن نامنها على الهلاك فتعود مترنا منه ولا ساكنة مطمئنة

بعد ان كان ركوبه لا يستطاع لتلاطم امواج بحرها ويخفى ما يجرينا
الغيا من الشهوات ومن آياته وولادته صلى الله عليه وسلم يوم ساء
اي احزن اهل المدينة المدعوة ساوة وهي بين همدان والري ان غاضت
بالغاد المعجمة اي نقصت بحيرتها وجفت بحيث لم يبق بها شيء
كما قيل حتى ان لهيب النار ينبع من قعرها كما طبخ او قصها
حزنا وكانت هذه البحيرة بركة ما طولها ستة اميال وعرضها
مثل ذلك وكذلك احزنهم اي الله ورد واردها الذي ياتي اليها ليستقي
من مائها بالغيظ اي مع الغيظ حين ظمي وعطش الماء لما كان من ولادته
صلى الله عليه وسلم وهو الذي احزن ساوة واسناد الحزن الى نفس النار
والماء مجاز او تنزيل لها منزلة العاقل ويدل عليه قوله كان بالنار ما بالماء
من بلل حزنا وبالماء ما بالنار من ضرم اي صارت نار فارس
التي خمدت كان بها من الاوصاف التي من جملتها البلل مثل اوصاف
ماء بحيرة ساوة قبل غيضه اي صارت مبتلة باردة كما كان
بحيرة ساوة ورود نه من التحزن وصار هو اي ماء بحيرة ساوة
الذي غاض حتى جف مكانه وصار يلتهب كان فيه من الاوصاف
التي منها الضرم مثل اوصاف نار فارس قبل خمودها من حزنه
فالحاصل ان كلا من نار فارس وماء بحيرة ساوة انتقل الى
كل منهما اوصاف الآخر من الحزن على تغير حال الكفر
وخص الناظم من اوصاف الماء البلل دون البرودة مثلا ومن
اوصاف النار الاضطرام دون الحرارة مثلا لان النار لا تنفي حقيقتها
مع الاتصاف بالبلل فانها في غاية اليبوسة فاذا تحرق الاجسام

والبلل

والهلال يبطل الاجزا المتفرقة كما يبطل الما التراب ووصفها بالبرودة
لا يخرجها عن حقيقتها قال تعالى يا نار كوني بردا وسلاما على ابـ
النار والمايعة اذا اتصف بالاضطرام الذي هو غاية اليبس
خرج عن حقيقته لخروج التفريق فيه بعد الاتصال
ووصفه بالحرارة لا يخرجه عن حقيقته لانه يقال ما حار
ولا يقال ما يفرق الاجزا وصارت الجن اولاد ابليس لعنه الله
عند ولادته صلى الله عليه وسلم تهتف في تلك الليلة تفوت
على الجبال وفي بطون الاودية وترفع اصواتها بالاعلام بما اظل العالم
من نبوته صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون معنى تهتف
اي تقول قولا عن غير تحقيق وذلك انها قبل ولادته صلى الله
عليه وسلم كانت غير ممنوعة من استراق السمع ولذلك اكثر
اصابة الكهان في ذلك الوقت لانهم يسمعون من الملايكة ما يكون
من الحادثات في الارض على التحقيق فلما منعوا بعد ولادته
صلى الله عليه وسلم من استراق السمع بالشهب الا من خطف الخطفة
جعلوا يتكلمون من غير تحقيق ولذا لم يوابعه ولادته صلى الله عليه
وسلم والمعنى وصارت الجن يوم ذلك تهتف اي تقول قولا غير
محقق به كلامه الذي لا محصول له اسماع صوت من غير تحقيق شخص
فان قيل احاطت الجن لمبعثه صلى الله عليه وسلم وظاهره
لان اكثرهم عصاة واما انصداع ايوان كسرى فاهانة له وذلك
وسعار كساير الملوك فيها اهانة لهم ايضا واما خمد النار واضطرام
سكان الما بعد غيضه فانا يحسن ذلك لان لا ارتفاع لهم كانصداع

الايوان لكن الناظم انما قال كاد ذلك فيهما من خوفها وذلك لا يمنع
ان الجمادات وكل ما لا يعقل لا يوصف بالكفر ومشاقة الله ورسوله
بل كلها منقادة خاضعة لامر الله تعالى وان من شيء الا يسبح
بحمده ولله يسجد ما في السموات وما في الارض فلا يليق بالناظم
ان يقول من فرج فالجواب ان كان المراد اهل النار واهل
ساوة فلا اشكال وان كان المراد انها تكون من حزن النار
على نفسها من اجل انها لا توقد والماء من انه لا يجري وان كانا
في خبر بولادته صلى الله عليه وسلم وايضا فهو انما قال كاد
تشبيها حالها بحال الحزين والانوار المحسوسة التي ظهرت
عند ولادته انه ساطعة فيه اي مرتفعة ويحتمل ان
يكون مراده الايات المذكورة وغيرها سماها انوارا لانها
تهدي سبيل الحق كما يهدي النور سبيل الحس والحق يظهر
من معنى ومن كلم من الفائد صلى الله عليه وسلم بعدما عاينوا
من اياته مولده وبعثته القاطعة عموا وصموا اي هم
كالعمي في كونهم لم ينتفعوا بما شاهدوا من معجزاته لان
ثمرة الابصار الجري على شاكلة المبصر وكالصم في كونهم
لم ينتفعوا بما تواتر عندهم من اياته والتواتر يقوم مقام
المعاينة في افادة العلم لان العلم الحاصل به من الضروريات
كانه قسمهم الى من حضر وشاهد لانه لم يقف بمقتضى ما راى وهؤلاء
هم الذين اخبر عنهم بانهم عموا والى من لم يحضر لكن تواترت
عنده الاخبار فلم يصدق وهؤلاء هم الذين اخبر عنهم انهم صموا

عموا

ثم قال فإعلان أي اظهار البشائر بصحة رسالته صلى الله عليه
وسلم وإشاعتها كسطوع الانوار واخبار الكهان وهتف
الجن لم تسمع وبارقة الانذار به لم تشم أي ما لاح لهم
مما انذرهم بانقضاء دولة الكفار واذلال اهله الذي هو
شبيه باشهار السيوف بضرب من لم يدخل في الطاعة بها
او كالبرق المتدرج الصواعق وكانقضاض الشهب المتدر
باسم عظيم بخراب الدنيا او غيره وذلك كصدع الايوان وخمود النيرا ن
وغيض الانهار لان كل ذلك لم يره او هو معنى لم تشم أي
لم ينظروا إليها وبنا تسمع وتشم للمفعول تنبيه على تمكن
العمى والصمم منهم حتى لم يكن منهم في الوجود من يتصف بضدهما
وكان عماهم عما شاهدوا من الايات وصممهم عما سمعوا منه
من بعد ما اخبر الاقوام الصم العمى كاهنهم بان دينهم المعوج لم يقم
والمراد بالكاهن الجنس وهم سطيح وهم الذين كانوا يخبرون
بالغيب حسبما يخبرهم به تلك اصحابهم من الجن الذين
يسترقون السمع وفي اخبارهم بامر محمد صلى الله عليه وسلم
وانه قد قرب مبعثه بالحنيفية والدين القايم وانه يبعث بذهاب
دينهم الاسود المعوج وانه لم يقم أي لم يثبت دينا عند الله ولم
يستقم في حكمه ويخرط في سلك هولاء علماء اليهود والنصارى ومن
قلدهم ممن لم يؤمن به صلى الله عليه وسلم فانهم يجدونه مكتوبا
عندهم في التوراة والانجيل وهذا العمى والصمم بعد ما عاينوا
بابصارهم في الافق من شهب منقضة على الشياطين المسترقين

للسبح من الملايكة في السما ليلة ولادته ساقطة ونبت ما في الارض
من صنم اي انقلبت نحو الصنم وهو ما كان مصورا والوثن ما كان
غير مصور وقيل الصنم ما كان من حجر والوثن ما كان من غيره
كالنحاس وقيل هما بمعنى واحد ولما تول الشهب تنقض جهة
الاصنام وهي جهة الشياطين حتى غدا اي سار عن طريق
الوحي الذي ياتي به الملك الى النبي صلى الله عليه وسلم
منهزم من الشياطين يقفو اي يتبع اثر منهزم منهم
ولم يقعد بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم احد منهم على طريق الوحي
ليسمع منه ما تكلم به الملايكة منه ما يقضي الله الامر كانه
سلسلة على صفوان كما ورد في الصحيح ويراده بقوله اثر منهزم
جنس المنهزمين والمراد بالاثر التتبع شيا بعد شي فلم
يزل دابهم على تعاقب الاوقات الفرار والانهزام ودأب الشهب
الانقضاض خلفهم والازدحام ثم شبههم في هربهم وتبدد
شملهم فقال كانهم هربا اي في حال هربهم من الشهب
ابطال ابرهة بالصرف ضرورة والاصل عدم صرفه للعجمة والعلمية
وهو الفيل الذي جا يهدم الكعبة ومعنى ابرهة بالحبشة
ابيض الوجه وسمي البطل بطلا لان الدما تبطل عنده اي
لا يوخذ بثارها او لان الشجعان تبطل عندهم وتخفى عنهم
عند ملاقاته والمراد بالابطال هنا الشجعان من فرسان ابرهة
الذين جاوا لهدم الكعبة فارسل الله عليهم طيرا ابابيل ترميهم
بحجارة من سجيل فهرب ابطالهم يطلبون النجاة في ساير الجهات

وان

ولات حين مهرب كلهم بل تمزقت عليهم الحجارة وترادفت فلا تخطي
احدا منهم وصرخ القوم وصاح بعضهم في بعض يبتغون الطرق في كل
طريق ويهلكون في كل منهل وكان الحجر لا يصيب شيئا الا هشمه
وما وقع حجر منها على رجل الا خرج من الجانب الاخر وان وقع على راسه
خرج من دبره قال بعضهم ان الحجر اذا غاص في دماغ الرجل ذهب
منه السمع والبصر واذا غاص في جوفه قطع امعاءه نعوذ بالله من عذابه
ونقمته وارسل الله تعالى على ابرهة داء في جسده فجعلت انامله
تتساقط وما مات حتى انشق صدره عن قلبه عافانا الله من بلائه
هذا ملخص هذه القصة وفي بعضها طول يخرج عن المقصود
وشبههم ايضا في هربهم بقوله او عسكر بالحصى التي هي حجارة
صغار صلبة من راحتيه الشريفتين رمي وهم الذين جاهدهم
صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين وقد حسد والدافد رسول الله
صلى الله عليه وسلم كفا من حصى ورمى به في وجه ذلك الجمع العظيم
فلم يبق احد منهم الا اصابه منه في عينيه وولوا هاربين وكان الكفار
يومئذ ما بين التسعماية الى الالاف فانهزموا وتبعهم المؤمنون يقتلونهم
ويأسرونهم فتحقيق كلام الناظم من التشابه في حالة كونهم هاربين
من القنابل الحجارة عليهم انهم كانهم عساكر ان رفعنا عسكرا عطفا
على ابابيل او كانهم ابطال ابرهة ان خفضناه عطفا على ابرهة
حين ولوا هاربين من رميه بالحصى من راحتيه صلى الله عليه
وسلم وانما قال رمي بالبناء للمفعول تنبيها على ان ذلك الرمي
وان باشرته كفاه صلى الله عليه وسلم فالرامي به حقيقة

هو الله تعالى لقوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى تنبيه ابه
رميًا بالحصى بعد التسبيح لله عز وجل ما رمى ولكن الحصى بطنهما اي
ببطن راحتيه الشريفتين صلى الله عليه وسلم ويسمى هذا عند
اهل البديع الاستتباع وحقيقته ان يمدح بكلام يستتبع المدح
اخر كقول ابن نباتة رحمه الله تعالى

ولا بد لي من جهلة في وصاله • فمن لي بخل اودع الحلم عنده

ففيه الغزل الغريب بكونه جاهلا ومن الفخر بذكر تعاظم
الاخوان اذ ليس منهم من يصلح لايداع الحلم وفيه انه لم يخل من
بعض ترك الحلم جملة الا اذا وجد من يرده اليه او دعه اياه وفي
كلام الناظم ان قصده تشبيه الشياطين عند هروبهم من الشهب
بابطال ابرهة او الكفار المنهزمين بقتال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم استتبع هذه المعجزة باخرى وهي تسبيح الحصى
بكفه ومن هنا كان في قوله هذا استتباع وهو المدح بشيء
على وجه يستتبع المدح باخر واشار بما ذكره الى ما رويناه عن انس
رضي الله عنه انه قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من حصى
فسبحن في يده حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد ابي بكر
رضي الله عنه فسبحن ثم في ايدينا فما سبحن فان قيل ظاهر
النظم ان الحصى التي رمى بها الكفار هي التي سبحت وان الرمي بها
كان بعد تسبيحها كان بباطن كفه وما روي عن انس انما يدل
على ان الحصى سبح في كفه في الجملة فالجواب انه يحتمل ان يكون
الناظم رحمه الله واياه اطلع على انها سبحت في هذا الموطن فان

كان

كان هذا الا اشكال والا كان قوله بعد لترتيب الاخبار
كما قال النحاة في شيء نحو قوله ان من ساد ثم ساد ابوه والمعنى
والمعنى عند الناظم انه قصد الاخبار بخرق العادة في كون حصى الكفين
اصاب الجمع العظيم ثم كانه يقول وهذا الاخبار الغريب كان
بعده اخبار اخر غريب وقوله في الكفين خارق للعادة وهو كونه
سبح في كفه والتسبيح التنزيه قال الجوهري سبحان الله
معناه التنزيه لله تعالى وهو اسم مصدر على الصحيح وفي استيفا
الكلام على مادته طول ذكرت نبذة منه في كتاب بهجة السامع
والقاري في ختم صحيح البخاري وهذا النبذ الكامل في الحصى بعد
تسبيحه في بطون الكف وكونه مع قلته هزم الجيش الكثير الذي
لا يحصر يشبه نبذ المسبح يونس عليه السلام في احشا ملتقمه
له وهو الحوت لانه نبذ من احشا الحوت من قعر البحر سالما
لم تطبخه حرارة معدة الحوت بعد الكامنه في احشايه مدة يطبخ
فيها ما حصل في ذلك المكان بما هو اكثر منه وهذا التطير بموس
قلة الحصى للعدد الكثير اذ الكل من قدرته سبحانه ولا يستبعد
تسخير الجمادات له من الحصى وغيره فقد جات لدعوته صلى الله
عليه وسلم الاشجار حال كونها ساجدة اي خاضعة حين دعاها الا انه
كما جمعها او دعا به اياها اي الاتيان به حال كونها تمشي اليه على ساق
بلا قدم اي لا قدم يعينها في المشي وانما ذلك خرق للعادة وتاييد
الالهي لا يكون الا لمثله صلى الله عليه وسلم ولم يقل دعي تنبيها على انها
باول دعوة واحدة بادرت الى الامتثال والى في الاشجار للجنس والطلاق

السجود في الخضوع في خلاف قيل حقيقة لانه مشترك وقيل مجاز
فيكون من الاستعارة لان ايهام العلاقة لتشبيهية وساجدة
معني من الطباق ثم اكد اعتداله في مشيه القويم وسلوكه السنن
المستقيم كانما سطرت بمشيها اليه صلى الله عليه وسلم او بسجودها
في الارض سطرا لما كتبت فروعها فاعل كتبت من بديع الخط في اللقم
بفتح اللام والقاف وهو وسط الطريق اي كانما سطرت فروع
تلك الاشجار حين جاءت سطرا من بديع الخط اي الخط البديع
لما كسته تتميم للاستعارة واملا انه خط لا يوجد مثله من
مثلها وقوله في اللقم تتميم اي لم تخرج بما كتبته عن وسط
الطريق وحاصله انه شبه تلك الاثار بكتابة كاتب او وقعت
على نسبة معلومة في اسطر منظومة واشار بما ذكره الى ما روينا ٥
عن ابن عمر رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سفر فدنى منه اعرابي فقال يا اعرابي اين تريد قال الى اهلي
قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وحده ٥
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال ومن يشهد لك على ما تقول
قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطي الوادي فادعها فانها تجيبك قال
فدعوتها فاقبلت تخد الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها فشهدت انه كما قال
ثم رجعت الى مكانها وفي بعض الروايات فقال الاعرابي ايذن لي ان اسجد
لك فقال عليه الصلاة والسلام لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت الزوجة
ان تسجد لزوجها وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه ان الجن قالوا
من يشهد لك قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها

لها

له تعالى فاذا كانت الاشجار تبادر لامتثال امره صلى الله عليه
وسلم حتى تخر ساجدة فما اشد غفلة الغافل على عدم
ملازمته السجود لربه ولو في ليلة من الليالي ومثاله
قول الاعرابي ايذن لي ان اسجد لك لما راى من سجود الشجرة
فراى انه احق بذلك حتى اعلمه صلى الله عليه وسلم ان
السجود لا يكون الا لله ومكان السجود عظيم اذ هو غاية الخضوع
لانه تعفير اشرف اعضا الانسان وهو الوجه في اذلة الاشيا
واحقرها وشرف منزلته قال النبي صلى الله عليه وسلم
للذي سأله ان يكون رفيقه في الجنة اعني على نفسك بكثرة
السجود فينبغي للخايف من ربه ان يبادر لامتثال ما دعى اليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيلزم السجود ويقوم على ساق
العبودية وان لم يكن له قدم كما كانت الشجرة على ذلك وهذه الاية
مثل اية الغمامة في التسخير اي سار سايرة تقيه صلى الله عليه وسلم
بتظليلها له حر وطيس الهجير حمي بسكون اليا واصلها الفتح
بيَّن ان الاشجار في سلوكها لقصده صلى الله عليه وسلم وابتائها اياه
حيث كان المراد بها بذلك مثل الغمامة في سيرها اين سار تظله
واقيه له من حر الهجير وموصوف الهجير الذي يشبه في حرارته حر الوطيس
وهو التنور ويحتمل ان يكون حمي في موضع الحال من الهجير اي وهو حمي
ويحتمل ان تكون اي اسم فاعل فتكون نعتا للهجير وكما سخرت له صلى الله
عليه وسلم الجمادات الارضية فكذلك الجمادات السماوية العلوية كانشقاق
القمر كما اشار اليه الناظم مخبرا عن نفسه انه انشا الحلف بقوله اقسمت

بالقمر المنشق لغاية اسم مفعول من شققته فانشق اذا قسمته
واشار بهذا الي ما روياه عن انس وابن عباس رضي الله عنهم
ان اهل مكة سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اية فاراهم
انشقاق القمر مرتين وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال بينما نحن
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى اذ انشق القمر فلقتين فكانت
فلقة وراء الجبل وفلقة دونه فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشهدوا وفي بعض الروايات فقال كفار قريش هذا سحر ما بعثوا
الي اهل الافاق حتى ينظروا اراوا مثل هذا ام لا فاخبر اهل
الافاق انهم راوه منشقا فقال كفار قريش هذا سحر
مستمر وفي رواية قالوا ان كان محمد سحر القمر فانه لا يبلغ
من سحره ان يسحر الارض كلها فاسئلوا من ياتيكم من بلد اخر فاتوا
فسالوهم فاخبروهم انهم راوه مثل ذلك فقالوا هذا سحر مستمر
فانزل الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر الاية وسمي القمر قمرا
لبياضه او لاستتارة ولانه يقمر الاعين يغلبها بنوره ويسمى بذلك
بعد ثلاث ليال الي اخر الشهر فايدة ذكر تاج القراء في لباب
التفاسير في تفسير سورة الرحمن ان سعة القمر الف فرسخ وزعم
اهل الهيئة انه ليس في سما الدنيا من الكواكب السيارة سوى القمر
والله اعلم وهذا القسم الذي قسم به الناظم رحمه الله اما ان يكون قسما
بالقمر على عادة الادبا واما ان يكون على تقدير مضاف اي برب القمر
ويحتمل ان يكون جواب القسم قوله ماسامي الدهر البيت
وما بينهما جمل اعتراضية ويحتمل الا يكون الجواب قوله بان له اي القمر

من

من قلبه الشريف **نسبةً** بالنصب اسماً **مبرورة** اي مصدوقة
القسم ومنه بيّن بارزة اي محاذية ولنسبة الفهر من قلبه صلى الله
عليه وسلم ان قلبه الشريف انما شق وغسل لتتمكن فيه معارف
النبوة ومعانيها ثم يظهر ذلك الباطن بعد كذا الفهر انما شق ليظهر
النبوة وتتقرر للمكلفين وايضاً فان الفهر نوره يتلالا وقلبه
صلى الله عليه وسلم النور منه ولذلك جعل الناظم النسبة للفهر من قلبه
ولم يجعل النسبة لقلبه من الفهر ايضاً فان الفهر انشق مرتين وكذلك
قلبه صلى الله عليه وسلم شق مرتين مرة في زمن الصبا وكان ذلك لاستخراج
حظ الشيطان منه وهي العلقة السوداء ومرة عند الاسراء به للوحي وان انشا
الكلف بلفظ الماضي لا المضارع اشارة الى تحقيق وقوع هذا الا
وان اعتقاده مطوي عليه مسلم عقل وقدم من قلبه على النسبة للاهتمام به
والخلاف المعروف في مبرورة فقيل نعت لنسبة اي ان اقسم
في كينونة هذه النسبة وثبوتها يميناً فيمينها مبرورة وقيل
خبر مبتدا محذوف اي يمين مبرورة القسم وقيل صفة لموصوف محذوف
وما سله اقسمت اي يميناً مبرورة وحذف الموصوف للعلم به لان
صفته مختصة به واشار الناظم رحمه الله الى ما رواه ابن اسحاق عن ثور
ابن يزيد عن بعض اهل العلم ان نفراً من الصحابة قالوا يا رسول الله
اخبرنا عن نفسك فقال دعوة ابي ابراهيم وبشارة عيسى ورأت
امي حين حملت بي انه خرج منها نور اضاءت له قصور الشام واسترضعت
في بني سعد بن بكر فبينا انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما اذا اتاني
رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجاً فاخذاني

فشقا بطني ثم استخرجا قلبي فشقاه فاخرجا منه علقة سودا فطرحاها
ثم غسلا قلبي بذلك الثلج حتى انقياه ويحتمل ان تكون
اشارة الى شق قلبه ليلة الاسرا صلى الله عليه وسلم وكما سخرت له الجمادات
العلوية والسفلية فكذلك سخر له العنكبوت والحمام وكانهما من الاشيا
التي بين السما والارض لان الطير من الحمام وغيره مسخر في جو السما ويحتمل
به العنكبوت فان غالب سكناه السقف وما اشبهها والى
هذه الاية اشار الناظم رحمه الله بقوله وما حوى الغار الذي هو
الكهف بجبل الثور اسفل مكة اي الشمت ايضا بما جمع الغار الذي
اختفى فيه صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه حين هاجر
الى المدينة من خير بكسر الخا الكرم كما قاله الجوهري وقيل كرم
النفس وعلى كل تقدير فنيه تكرار مع قوله ومن كرم الان يفسر
كرم الاخلاق الحميدة والكرم بالجود فيتغايران في التفسير الثاني
تغاير الاعم والاخص وقيل بفتح الخا فيكون معناه ضد الشر
ويحتمل ان يكون من خير ومن كرم من صفاته صلى الله عليه وسلم
وصفات ابي بكر رضي الله عنه ويكون ما واقعة على صفات من يعقل
وهو احد مواضعها نحو قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النسا اي الطيب
ويحتمل ان يكون الاول للنبي صلى الله عليه وسلم لان الخير الذي هو
كرم النفس يعم جميع الصفات الحميدة وكذلك الخير الذي هو ضد الشر
والثاني لابي بكر رضي الله عنه لانه خصصه بالكرم وهو التجرد
في الجود وانما وصفه بالكرم لانه اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بنفسه وماله ومن ذلك انهما لما اتيا الغار تقدم ابو بكر في الدخول

مخافة

مخافة ان يكون فيهما يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم ويلقاه بنفسه
فلم ير شيئا فحله وادخله الغار وكان فيه شقوق فيه حيات
وافاعي فخشي ابو بكر ان يخرج منه شي يؤذي النبي صلى الله عليه
وسلم فالقمه قدمه فجعلت الحيات والافاعي يضربنه ويلسعنه
فجعلت دموعه تنحدر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له
يا ابا بكر لا تحزن ان الله معنا وفي رواية فدخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم ووضع راسه في حجر ابي بكر فلدغ ابو بكر في رجله من
الجحر ولم يتحرك مخافة ان ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لك
يا ابا بكر قال لدغت فداك ابي وامي فتفل عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فذهب ما يجده ثم انتقض عليه وكان سبب موته
ومعنى قوله ان الله معنا يعني بالنصر والمعونة كقوله تعالى
ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقد زعمت الرافضة
ان في قوله عليه السلام لابي بكر لا تحزن غضا من ابي بكر وذما له
لان حزنه ذلك ان كان طاعة فالرسول لا ينهى عن الطاعة
فلم يبق الا انه معصية قال السهيلي يقال لهم على جهة
الجدل قد قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا يحزنك قولهم
وقال ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر وقال لموسى خذها
ولا تخف وقالت الملائكة للوط لا تخف ولا تحزن فان زعمتم ان
الانبياء حين قيل لهم هذا كانوا في حال معصية فقد كفرتم
ونقضتم اصلكم في وجوب العصمة من الانبياء والامام المعصوم

فان الانبياء الائمة المعصومون باجماع واما قوله لا تحزن وقوله عز
وجل لمحمد ولا يحزنك قوله لا نهي به مثل ذلك هو تسكين لجاشهم
وتبشير لهم وتانيس لا نهي حقيقة النهي الذي زعموا ولكن كما قال الله
تعالى تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة
وهذا القول انما يقال لمن هو عند المعاينة وليس اذ ذاك امر
بطاعة ولا نهي عن معصية انتهى ومن معجزاته صلى الله عليه
وسلم في قصة الغار ما ذكره بقوله وكل طرف من الكفار عنه اي عن
المحبوب عمي فلم يبصر ما فيه مع قربه منه فالصدق في الغار
المذكور اي ذو الصدق صلى الله عليه وسلم في حذف المضاف
وابو بكر الصديق رضي الله عنه فيه لم يريما اي لم يبرحا
منه لئلا يقال انما عمي عما في الغار كل طرف من الكفار
وبعد خروجهما منه بل ذلك كان وهما فيه لم يبرحا منه
بعد وهم يقولون اي وحالة الكفار حين نظرهما اليه وانما قولهم
ما بالغار من ارم بفتح الهمزة وكسر الراء اي من احد ظنوا من الظن
وهو الحكم النفسي الذي يحتمل متعلقه النقيض احتمالا مرجوحا
ومعنى كلام الناظم ان الكفار ظنوا بما عمي الله بصائرهم
الحمام وظنوا ايضا العنكبوت الناسجة على خير البرية نبينا صلى الله
عليه وسلم لم تنسج بفتح التاء وضم السين ويجوز كسرها ولم تحم
عليه لما جرت العادة ان هذين الحيوانين ينفران لا يالفان
معمورا فهما احسنا بالسكان لم امسه وهذا التشبيه اهل البديع
لف ونشر مشوش لرجوع تنسج الى العنكبوت وتحم الى الحمام

واشار

واشار بهذا الى ما روي عن عايشة رضي الله عنها في حديث فتنة الغار
قالت ولما كانت ليلة بات النبي صلى الله عليه وسلم في الغار امر
الله تعالى شجرة فنبتت في وجه الغار وامر حمامتين وحشيتين
فوقفتا في وجه الغار والى المشركون من كل بطن حتى اذا كانوا من
النبي صلى الله عليه وسلم على قدر اربعين ذراعا معهم قسيهم وعصيهم
تقدم رجل منهم فنظر فراى حمامتين على فم الغار فقال امية
ابن خلف وما اربكم الى الغارات فيه لعنكبوتا اقدم من ميلاد محمد
صلى الله عليه وسلم وهذا الامر الذي ذكره هو **وقاية الله** عبده
ماشاء اي حفظه اياه بمثل ما الفي من الظن في قلوب الكفار
وبما اعمى من ابصارهم **اغنت** كلا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابي بكر رضي الله عنه في التحصين **عن مضاعفة من الدروع** الحديد
واغنتهما ايضا عن عال اي مرتفع **من الاطم** بضم الهمزة والطاء
الحصن وفسر بعضهم المضاعفة من الدروع بان يلبس درعا فوق
اخر والصواب ان المضاعفة هي الدروع التي نسجت حلقتين حلقتين
واجاز بعضهم ان يكون وقاية خبر مبتدا محذوف تقديره هذا الامر
كما قدرناه ان يكون مبتدا خبره اقسمت ومن الدروع صفة للمضاعفة
ومن الاطم نعت لعال وتقدم احتمال كونه جواب القسم والمراد عليه
في قوله اقسمت قوله **ما سامني** ما اراد بي **الدهر ضيما** ايظلما او ذلا
وفي بعض النسخ ما سامني الدهر يوما **واستجرت** الله تعالى من ذلك
الضيم **به** اي بسببه صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان تكون الباء زايدة
في المفعول اي ما سامني الدهر ضيما واستجرت النبي صلى الله عليه وسلم

اي طلبته ان يجيرني الا والحالة اني قد لمت جوارا بكسر الجيم في الافصح وجوارا
ضمها اي قربا منه صلى الله عليه وسلم لم يضم الجوار المذكور قط ولا التمست
ابيه غنى الدارين الدنيا والآخرة من يده صلى الله عليه وسلم الا التمست
من نوالهما التمست الجزاء اي لمسته اما باليد او بالفم وقد يتجوز
تعبر بنيلك التمست معروفه اي نلته باليد اي الا التمست ونال لت
النعما بفتح النون وهو الجود والكرم من خير مستلم اي من خير مطلوب
منه وفي قوله ما سامني الخ البيتين براعة المطلب وهو ان يلوح بالطلب
بالفاظ عذبة خالية من الالحاح مقترنة بتعظيم الممدوح لسطوه
ما في نفس الامر دون كشفه وبوجود هذا الحد كلها موجودة فيها
وكانه اشار الى ما قصده من التوسل بهذه القصيدة الى النبي
صلى الله عليه وسلم في ان يشفع فيه لربه سبحانه وتعالى حتى يشفيه من
مرضه المزمن الذي اعيى الاطبا وبراعة المطلب استخرجها عز الدين
البقي الزنجاني في كتاب المعيار وفي قوله ما سامني الدهر ضيما اشكال
لما ينسب للدهر انما فاعله هو الله تعالى فكيف يصح نسبة الظلم
اليه سبحانه وتعالى وما ربك بظلام للعبيد والظلم وضع الشي في غير محله
فلابد من تاويل كلام الناظم فاما ان يكون في حذف مضاف اي ما سامني
اهل الدهر الذي يصح منهم الظلم وانه جرى فيه على عادة اهل
الادب ومتبع كلام العرب في نحو ما تقدم فان قيل اخباره عن نيل
ما التمس من النبي صلى الله عليه وسلم من غنا الدنيا في مشاهد بالحس
فكيف يصح اخباره عن نيل غنا الاخرة فالجواب انه انما شاهد
لقوة يقين الايمان بمنزلته صلى الله عليه وسلم عند ربه والخلف الب

في قوله عليه السلام بين يديه واراد بها جملة الذات الكريمة لان اليد تكون تناول
ما يعظم ولما ذكر حاله مولده صلى الله عليه وسلم وما ظهر فيه من الايات
وذكر المعجزات ما يوافقه بحسب الاستطراد شرع يذكر بدء
الوحي فقال **لا تنكر الوحي من رؤياه** صلى الله عليه وسلم **ان له قلبا اذا**
نامت العينان منه لم ينم لقوله انه قد شق وطهر
من التعلق بغير الله وملئ حكمة وايمانا فاليقظة الدائمة
صفته فيصح منه ان يخاطب ويتلقى الوحي لا كالقلوب التي تنام
حين تنام اعينها ولا في قوله لا تنكر الوحي ناهية وتكسر جزوم بها وكسر
لالتقاء الساكنين ويحتمل ان تكون من لابتداء الغاية اي لا تنكر ابتدا
الوحي من رؤياه فان قلت انه صلى الله عليه وسلم نام هو واصحابه
في الوادي فلم يوقظهم الا حر الشمس فالجواب ان دخول اوقات
الصلاة تتعلق بالنظر دون القلب لان مشاهدة طلوع الشمس
وغيرها انما هو بالعينين والعينان قد كانت اخذت حظها من النوم
ونظر القلب انما هو فيما غاب عن الشواهد ولما كان كلامه قد
يتوهم سامعه ان الوحي اليه عليه السلام دائما انما كان في النوم دفع
ذلك الايهام بقوله **وذاك** اي الوحي الثابت من رؤياه حال النوم
كان او ثبت **حين بلوغ** اي وصول **من نبوته** اليه صلى الله عليه وسلم **فليس**
ينكر منه صلى الله عليه وسلم وفي بعض النسخ فيه بدل منه اي ليس ينكر
في الزمان المذكور رؤياه الوحي **حال محتلم** فان ذلك انما كان في ابتدا
النبوة ليتانس به ويألف الملك فانه لو جاءه ابتدا الا امكن ان لا يطيق
ملاقاته فلما تونس حاله وتانس اتاه الوحي في اليقظة فتنبه

ينكر الغائب عن الفاعل ضمير يعود في الوحي وضمير منه عائد عليه
صلى الله عليه وسلم وحال منصوب في الظرف ومحتمل على حدث
معناه اي حال احتلام يحتلم والنبي في تفسيره غير حسد ا
ما يقوله ذكره ثم ذكر الاستدلال على صحة الوحي في النوم
وعلى صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما يخبر به عن الغيب فقال
تبارك الله اي تعالى وتعاظم ماوحي وان قل او ملاطفة وحي
ماوحي لاحد بسعيه اليه بل هو باختصاص الله به من يشاء من عباده
ولا ينكر كونه في نوم كما لا ينكر كونه في يقظة فان فعل الفاعل المختار
لا يختص بحالة دون اخرى على سبيل الوجوب وتعاظم الله تعالى
على اتهام الانبيا بالكذب فيما اخبروا به من الغيب عن الله من
الكفار اليقين انه لاني من الانبيا عليهم السلام في اخبار غيبهم
على ذلك الاخبار مكذب فيسلعصمة من الله تعالى وما هو على الغيب
بظنين اي بمتهم والذي عليه اهل الحق ان النبوة كرامة من الله تعالى
لمن يشاء من عباده ونعمة منه على من يشاء اهم يقسمون رحمة ربك الله
اعلم حيث يجعل رسالاته فلا تنال بمجاهدة واكتساب خلافا
للزاهدي في ذلك وهو كفر صراح مبني على اصل الفلاسفة من ان
العلة توجب معلولها ان يجد الشرط وزال المانع وفيه ابطال
فاعلية الفاعل المختار واجمعت الامة على عصمة الانبيا صلوات الله
وسلامه عليهم اجمعين بعد الرسالة من تعمد الكذب في الاحكام
والتبليغ عن الله تعالى لان ما ظهر على يديهم من المعجزة دل على
صدقهم فلا يجوز عليهم الكذب والا ناقض مدلول المعجزة واجمعوا ايضا

بعد

في عصمتهم من الكبائر والصغائر الخسيسة والاختلاف في عصمتهم من
الصغائر والذي عليه المحققون عصمتهم منها ايضا لانا مامورون
باتباعهم في كل ما يصدر عنهم من قول او فعل وحاصله ما ذكر
انهم معصومون من الصغائر والكبائر صلوات الله وسلامه عليهم
اجمعين فان قيل قوله تعالى عفا الله عنك وليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك ووضعنا عنك وزرك يدل على تقدم الذنب فالجواب
ان الذنب فيها محمول على ترك الاولى كما قيل حسنات الابرار
سيئات المقربين وترك الاولى ليس بذنب لان الاولى وما يقابله
مشتركان في اباحة الفعل والعتاب منه تعالى للحث والتحضيض
على فعل الاولى واما وقعة ادم فيجوز ان تكون قبل نبوته ويدل عليه امران
احدهما لو كان حال الواقعة نبيا لكان له امة لكن الاتفاق حاصل على انه
لا امة ثانيهما قوله تعالى ثم اجتباه الاية تدل على ان الاجتباء وهو ايتاء
خلعة النبوة كان متاخرا عن الواقعة لان كلمة ثم للتراخي واذا كان ذلك
قبل نبوته فلا محذور واما قول ابراهيم عليه السلام هذا ربي فقد
ذكره على سبيل الفرض ليبطله كالواحد منا اذا اراد ان يبطل احدا
يفرضه ثم يلزمه فكانه قال لو كان ربا لكان افلا اي متغيرا لكنه افل
والافل لا يكون الها يدل على ذلك قوله لا احب الافلين واما نظره
في النجوم فكان لاستدلال على حكمة الصانع وذلك من اعظم الطاعات وقد
مدح الله المتفكرين في خلق السموات والارض واما اخفاء يوسف عليه
الصلاة والسلام حرفته عند بيعه فيجوز ان يكون قبل نبوته وانه
استشعر من اخوته بقتله لو اظهر ذلك فصبر على الرق وكتم الحرية

وذلك جائز قبل النبوة ولكنا ما نقدر عن اخوته فاختلف في نبوتهم
ولو سلمه فلا نسلم انهم انبياء حين فعلوا ذلك واما هذه
يوسف بزليخا فحالة لا اختيارية لان الرغبة في النساء مركوزة
في جبلة الرجال وذلك محمود اذ عدمه في الرجال يدل على
العنة وهي نقيصة ولم يكن ذلك اختياريا حتى يكون مذموما
فان الطبيعة بجبلتها اقتضت ذلك الهم منعها يوسف عليه
السلام وذلك هو البرهان في قوله تعالى لولا ان راي برهان ربه واما
قصة داود عليه السلام وهي ان داود طمع في زوجة اخيه ليتزوج بها
لما علم بحسنها فارسل الله اليه ملكين في صورة رجلين اختصما اليه
الخصومة التي ذكرها الله في سورة ص فلم تثبت صحتها لان داود
طمع في نكاح زوجة اخيه لما سمع بقتل اخيه فلهذا القدر عوتب عليه
لانه دليل على انه لم يغتم لموت اخيه وما هو مذكور في السورة يحتمل
المراد منه غير هذه القصة حتى قال بعض المفسرين ان جماعة
تسوروا القصر ليقتلوه فلما راهم داود خاف لما تقدم في العرف
انه لا يتسور دور الملوك من غير اذنهم الا ذو ريبة وهو المراد من
قوله ففزع منهم فلما راوه مستيقظا فوامن تعلمهم واخترعوا
خصومة لا اصل لها زعما منهم انهم لما قصدوه لاجلها دون ما توهمه
وهو المراد من قوله لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فتزاد على واحد
منهم على الاخر كما اخبر الله تعالى فقال داود في جوابه لقد ظلمك
بسؤال نعجتك الى نعاجه وحمل هذه الاية على هذا العقد اولى
لان الملائكة ما ظلم بعضهم على بعض فيكون كذبا وحمل النعجة على النساء

مجاز

بجان والاصل عدمه وعدم صدور الكذب على الملائكة واما ههنا
فلا يلزم الا ارتكاب الكذب من تلك اللصوص وهو جائز فان قيل
قوله تعالى وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه منافٍ لما ذكرت
فان ذلك لا يقتضي الا الاستغفار فالجواب ان المراد اختبرناه
فيما مع ان سكنته على ينتقم منهم او يعفو عنهم واما كان الاستغفار
لهم لا لنفسه وذلك غاية الحلم والكرم فلا يكون لما ذكر فان قيل
قوله تعالى فغفرنا له ينافي ما ذكرت لو كان الاستغفار لهم لوجب ان
يقول فغفرنا لهم فالجواب يحتمل ان يكون المراد منه اي كرمنه
او لستنا عنه تحذون المعاف وايثم الشان اليه مقامه ثم عقب الناظم
ما ذكره بذكر بعض ما ظهر على يديه صلى الله عليه وسلم من المعجزات
الدالة على صدقه فقال كم اي كثيرا ما ابرأت وصبا بكسر الصاد اي مريضا
باللمس راحته الصادرة منه على المرض المذكور لمسا واشار بهذا الى نحو
ما روي ان شرحبيل الجعفي كانت بكفه سلعة تمنعه القبض على
السيف وعنان الدابة فشكا ها للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها
بكفه حتى لم يبق لها اثر وكثيرا ما اطلقت راحته اربا بضم الهمزة
وفتح الراء جمع اربة عقدة اي ابتلك العقد من ربقة اللمم اي من عقد الجنون
التي يربطون بها الادميين وهذا على سبيل الاستعارة والتشبيه لان الجالة
لما كان يحنق الادمي ويحل الحنق العنق شبه فعله ذلك بالادمية
بالحبل الذي فيه عرى يدخل في تلك العرى اعناق الغنم لئلا
يذهبوا ممن شفاه الله تعالى من الجنون ببركة لمس النبي صلى الله
عليه وسلم اياه براحتيه فقد اطلقت عنه عقد الجنون واشار بهذا

الي نحو ما روي ان امراة اتته صلى الله عليه وسلم بابن لها به جنون فمسح
بيده المباركة صدره فثع ثعة اي قا فخرج من جوفه مثل الجرو
الاسود واك فسر الكلم بالذنوب والمعاصي فالمعنى كثيرا ما اطلقت
راحته عقد امن ربقة حبل الكبائر ثم اصبح منها محلولا ببركة مسه
بكفه صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون ادبا على وزن مرضا اي ذي
حاجة واي ام من ان تكون اي اعطا ادلي شيئا او الي تخلص من اسر
المحتاج الي الشي نيل الغنا له بحاجته فانه يجعله فالعقل بها
كانه اطلق و من معجزاته صلى الله عليه وسلم ان احيت اي اخصبت
السنة الشهبا التي لا مطر فيها ولا نبات وشبهت بذلك لغلبة بياض الارض
فيها بعدم النبات فهي بالنسبة الي البياض شبيهة احيتها دعوته اي
دعاوه وتضرعه الي الله تعالى في ان يحيي الله تلك السنة بالمطر فاستجاب
دعاه ونزل المطر وحييت السنة بتبدل حال الجدب فيها بحال
الخصب حتى حكت اي شابهت غرة في الاعصر الدهم بضم الدال وسكون
الها ويجوز ضمها اتباعا اي صارت نسبة تلك السنة بما اشتملت عليه
من الخصب الي ساير الاعصر الدهم اي الي الازمنة الخصب كنسبة الغرة
من كل شي وهو الافضل منه وانما كانت الازمنة الخصب دهما لشدة خضرة
النبات فيها والسنة مفعول دعوته وفي هذا البيت الترشيح وهو ان
يذكر في معنى المدح او غيره الوانا لقصد الكناية والتورية وهو في كلام الناظم
في قوله السنة الشهبا اذ الشهبا كناية عن السنة المجدبة والدهم كناية
عن سني الخصب على الاصح وهذا الاحيا الكامل بدعوته صلى الله عليه
وسلم بعارض ارسله الله تعالى فيها حتى جاد اي كثر مطره او خلت

البطاح

البطاح اي ملأت مسايل الماء الواسعة بها من ذلك المطر سيلا من
اليم وهو البحر وسيلا من العرم وهو سد اليمن الذي بنته
بلقيس على ما ذكره اهل التفسير والتاريخ من عظمه وكيفيته
واحكام صنعته والماخص ما البحر بالجري واما العرم بالسيل
لان البحر لعموم نفعه يجري في الارض المسطحة والى اسفل
والى فوق والعرم غالبا انما يقع في اعلى الارض ليسقي به اماكن
متعددة فلا يجري الا سايلا والى بمعنى او في غلث وان كانت
بمعنى الواو لاقامة الوزن او ليوهم الناظر بتشكك لكثرة
الماء الكاين على سطح الارض في اعتقاده انه من العارض او من
البحر او من السد وفي قوله جاد نوع احتراس لان العارض قد يكون
مهلكا وقد يكون الاحتراس في قوله واحييت واشار بهذا الى
ما روي عن انس بن مالك رضي الله عنه قال اصاب الناس سنة على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم يخطب على المنبر يوم الجمعة فقام اعرابي فقال يا رسول الله
هلك المال وجاع العيال فادع الله ان يسقينا فرفع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يديه وما نرى في السماء قزعة قال فثار السحاب
امثال الجبال ثم لم ينزل على منبره حتى رايت المطر يتحادر على
لحيته الحديث ووقع في بعض النسخ هنا تسعة ابيات يقال انها
للامام ابي يحيى بن الخباب الاندلسي شارح الخزرجية في العروض
اضربنا عليها لانها ليست في رواية وحاصله انه عليه الصلاة
والسلام حين استسقى للناس على المنبر ودام المطر من يوم الجمعة

الى يوم الجمعة واستسقى لهم واقلع المطر اى بسبب الارض من النبات
حللا من السندس الاخضر واذا ذهب الله الجدب عنهم وما رفعه
القحط والطفوا به بحمد ما اعطاه من سألهم وكان الناظم رحمه الله
قد راى ان الحسد او الكافر الجاحد المكذب لما يسمع منه
من الاخبار عن معجزاته صلى الله عليه وسلم يقول له التكذيب
كف عنا من الاخبار التي لا نسلمها ما جابه تقديرا بان قال
كيف انكار الاية التي الاستغنا بها الجاحد للضروريات **دعني**
ووصفي آياته لي ظهرت ظهور نار القرى التي كان الكرام من العرب
يامرون بايقادها **ليلا على علم** وهو جبل من الجبال المرتفعات
التي يهتدي بها وانما يفعلون ذلك ليهتدي الاضياف الى منازلهم
وكانه يقول انما اصف من اياته صلى الله عليه وسلم ما لا يسع انكاره
لظهوره مثل ظهور نار القرى الكبيرة ليلا على علم والتنكير في الليل
والعلم للنوعية اي ليلا حالكا وجبلا شامخا او التعظيم وظهور مصدر
مشبه والعامل فيه ظهرت والاصل ظهورا مثل ظهور فحذف الموصوف
والتثمت صفته الذي مثل مقامه ثم حذفت واقيم المضاف اليه
مقامه وكان قايلا يقول له اذا كان ظهور اياته صلى الله عليه وسلم
كظهور نار القرى ليلا على علم كل الناس يشاهدها فما فايدة
وصفك لها فكانه قال انها وان كانت قد ركنا وحسنها ظاهر
الا ان تعرضي لوصفها بالنظم يزيدها حسنا وان كان قدرها لا ينقص
ان لم تنظم واستدل على ذلك بمثال محسوس يدرك فيه هذا المعنى
بقوله **فالدر** وهو اللولو وان حسن في نفسه لكنه **يزداد حسنا** بالنظم

متنول

منقول من القايل والاصل يزداد حسنه وهو منتظم في السلك لما يثبت
له من الترتيب والتناسب وليس ينقص قدرا غير منتظم نعم حسنه
الذي يحصل للعين ان نظم ينقص وهذا ايضا لان ما يزيد بوصفه
ينقص بسلب ذلك الوصف فكذا ما يحصل من زيادة الالتذاذ
الا بسماع الايات منظومة ينقص مع الاخبار بها نثرا وقدرها
من التعظيم الحاصل لها في ذاتها لا ينقص كما بينه لم تنتثر
في قوله يزداد حسنا فانه اذا اخبر انه انما يزداد بالنظم
حسنا على ان اصل الحسن حاصل له قبل وبذلك يظهر فايدة
قوله وليس ينقص قدرا غير منتظم فالجواب انه من الاحتراس
الرائع لما يتوهم من ان ازدياد الحسن بالنظم يوجب نقصانه
نقص القدر فما تطاول امال صاحب المدح وما الثنا الحسن
الجم ما فيه صلى الله عليه وسلم من كرم الاخلاق التي جبله الله عليها
وكرم الشيم واي البقاع وهذا البيت من ابدع ما يمدح به لان
العجز من درك الادراك ادراك ويحتمل ان تكون ما نافية وان تكون
استفهامية تعلقها نايبة يكون المعنى ان وصف الايات بالنظم
وان كان يزيدها حسنا فلا يتوهم ان احدا اتى من ذلك بما له نسبة
الى ما يستحقه صلى الله عليه وسلم وان امال صاحب المدح ما تطاولت اي
ما امتدت عنقها تلك الامال لتنظر من بعيد الى تمام ما فيه من كرم
الاخلاق ومن كرم الشيم وعلى الاستفهام يكون المقصود به الاستغراق
اي ان طاقة تطاول اعناق المديح الى تمام ما فيه من الاخلاق
والشيم فانه شي لا يدرك فالتشوف لادراكه عناد والنبي امدح

فانه نفي التطاول من امثله الاياس من ادراك ما يتطاول اليه
وفي النفي تطاول فعل ماض وآمال فاعله والمديح مضاف اليه
وفي الاستفهام فتطاول تصدر بنوع خبر ما الاستفهامية
فانها مبتدا وآمال مخفوض بالاضافة والفا الداخلة على ما عاطفة
والمديح منصوب بنزع الخافض فان قيل كرم الشيم هو كرم
الاخلاق او اعم منها فلم ذكرها فالجواب قد يكون كرم الاخلاق
عن استعمال فدفع ذلك الايهام بقوله والشيم فهو شبه احتراس
اي ان كرم اخلاقه من لوازم طباعه لا انها بالاستعمال وانما عطف بالثاني
لان الطبايع لا تظهر للوجود وانما تظهر اثارها وعطف الموصوف في
مقام المدح سايغ ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم التي جا بها ايات حق
من الرحمن جل وعلا محدثة باعتبار الحروف والاصوات قديمة باعتبار
مدلولاتها ومعانيها صفة الموصوف بالقدم وهو الله تعالى لم تقترن
مدلولاتها بزمان لان القديم لا اول لوجوده فليس بزماني اذ الزمان
حادث ويجوز نصب ايات على البدل من ايات في البيت قبله والرفع
على الابتدا المحذوف الخبر تقديره كما تقدم ومن معجزاته ايات حق
ومراده بهذه الابيات القران العظيم وليس مراده انها تتصف بهذه
الاوصاف من جهة واحدة والا ادى الى اجتماع الضدين وهو محال
لان الشي لا يكون قديما وحديثا معا فالحادث كما تقدم راجع الى الحروف
المنتظمة والكلمات المسموعة وهذا هو المعجزة والمعجزة لا تكون الا فعل
الله تعالى وهو حقيقة في الاول مجاز في الثاني او بالعكس خلاف
ويسمى كل منهما قرانا لان القران يطلق على القراة التي هي حادثة

اي

وعلى المغرور الذي هو تذيبه واي اي الايات التي هي الفاظ دالة على
مدلول تذيبه تخبرنا عن المعاد وهو الرجوع الى الله تعالى في الدار
الاخرة بعد موتنا في دار الدنيا وتخبرنا ايضا عن قبيلة عاد التي
بعث اليها هود صلى الله عليه وسلم وسميت باسم الاب الذي
هو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليهما السلام وكان عمره الف سنة
ومايتي سنة وراى من صلبه اربعة الاف وتزوج الف امراة وكان
كانوا يعبد القمر وتخبرنا ايضا تلك الايات عن مدينة ارم التي
بناها شداد بن عاد وكان ولي الملك بعد ابيه فسمع بذكر
الجنة وما فيها فقال لابد لي ان ابني مثلها فبنى ارم في ثلاث مائة
سنة وجعل قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد
والياقوت وجعل فيها انهارا مطردة واشجارا من الشجر وعند
كمالها دخل اليها باهل مملكته فلما كان منها مسيرة يوم وليلة بعث الله
تعالى صيحة من السماء هذا خلاصة خبرها والله اعلم المورخون في
صفتها ويحتمل ان يكون فاعل تخبرنا ضميرا الايات التي هي الالفاظ
الآن بزمان لا يكون العموم بل الخصوص اي لم تقترن بزمان ماضي
عنه لا في الماضي كما في الاخبار عن عاد ومن ارم ولا من المستقبل كاخبارها
عن المعاد وهذا من الدليل في كونها من عند الله تعالى والى في المعاد
للعهد ذكر عن محموع عاد ومع ارم لان الاول زمان والثالث مكان
والاوسط ذات فهي انواع مختلفة لا يحسن جمعها في واحد لانه
كلا ينفرد باخبار يخصه وثنى تكررها من الحشو للوزن وحسنه
ان مقام المدح يحتمل فيه الاطناب وهذه الايات التي وقع بها الاعجاز

باقية كما اشار اليه الناظم بقوله دامت لدينا ففاقت بالشرف والدواهي
كل معجزة ظهرت من النبيين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين لان معجزاتهم
انقرضت بانقراضهم بل لم تظهر على ايديهم الا مرة والحدة في
مدة حياتهم وذلك حين وقع التحدي بها ثم لم تظهر بعد كما اشار
اليه بقوله اذ جات ولم تدم واليها اشار صلى الله عليه وسلم بقوله ما من نبي
من الانبياء الا وقد اوتي من الايات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان
الذي اوتيت وحيا يتلى وهو باق على الدوام وسبب ذلك انه
صلى الله عليه وسلم لما كان خاتم النبيين جعلت معجزته مستمرة
دائمة الى يوم الدين وهذه الايات المذكورة محكمات الالفاظ بينة
متقنات النظم في البلاغة ونهاية الوصف مما لا يقدر البشر على
الاتيان بمثله فدل بيانها من عند الله قال تعالى وان كنتم في ريب
مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وقد كان العرب ح في الغاية
القصوى في الفصاحة وما لكي ازمة البيان والبلاغة وكلهم قد عجزوا
عن معارضته قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا
القران لا ياتون بمثله ومن اجل ما في الايات المذكورة من الدلائل
الواضحة بيانها من عند الله تعالى قال فما يبتغي ملتبسه الايات المحكمات
من شبه لذي شقاق وهو الكافر لانه مشاق لله ولدين اذ هو في شق
والاسلام في شق وان جعلنا محكمات ذوات حكم فمعناه ايضا لا يبقين
شيئا لذي شقاق الحض من عند الله لان ذلك المعاني والفوائد
التي تضمنتها لا يمكن ان يكون في كلام البشر ولذا كان يسلم كثير من
الكفار بمجرد سماع ما يتضمن المعاني الكثيرة من بعض ايات القران

في

في الفاظ قليلة كما كان يسلمه كثير منهم لما يدرك من فصاحة الالفاظ وهذه
الايات في الدلالة على كونها من عند الله تعالى ما يتبين اليه ما يحتجى
من حكم زايد على انه يدل لما كانت المعجزات كالشهود للنبي والدعوى
تحتاج الى الحكم في قبول الشهادة اشار الى ان شهادة هذه الايات
بثبوت النبوة لا تحتاج الى حكم لقوة ظهور صدقها كالو شهد لمدعي
بصحة دعواه عدد التواتر تحصل القطع بصدقهم ولم يحتج الى حكم
بينهما ولذا لا يطلب الحاكم في مثل هذا العدد من الشهود تزكية
ورد بانه انما يتم هذا لو كان بعض انواع الشهادات يثبت به الحكم
من دون نظر الحاكم وذلك لا يوجد اذ لا يتم الحكم بشهادة دون
تنفيذ الحاكم وانما قال من شبه بنفي الجمع ولم يقل بشبهة بنفي
الواحد وان كان المراد عموم المفرد اشمل فانه اذا نفي الواحد
انتفي الجنس كله جمعه ومفرده بخلاف نفي الجمع فانه يستلزم
نفي الواحد تنبيها على ان طرق الباطل شتى متعددة ضد طريق الحق
الذي هو واحد فكانه يقول ان ايات القران لا تبقي شيئا من انواع
الشبه المتعددة وانها دافعة لجميعها على اختلاف انواعها وما من
احد تعرض له شبهة الا وجد شفاءها في القران فانه الشفاء من كل
دا والنجاة عند تفرق الاهوا ثم قال ما حوربت قط اي ما حورب الاتي
بالايات صلى الله عليه وسلم فاسند المحاربة الى ما به المحاربة مجازا اي
ما حاربه احد في معنى النبوة وخاصمه فيها جحدا ثم حاربه صلى الله
عليه وسلم الا كان صلى الله عليه وسلم هو الغالب عاد من حرب اعدي
الاعادي الذي فقد محاربته من اجل قيام الحجة عليه ملقي السلم

وهو السلاح وسأله صلى الله عليه وسلم انه ايد هولا في الاسلام ولعا نزكه
المحاربة فان قيام الحجة عليه سبب لحجته التي هي كسلب ماله بل
اقوى لانه يخاف على حجته ان تدحض بينفضح كما يخاف على ماله ان
فهواد الحس بالحرب التي السلم ليلا ينفضح ويحتمل ان يكون
المعنى ما عارض احد هذه الايات وضدات بها بمثلها في ظنه
الاعادي من سلب قدرته على الكلام وان كان اعدي الاعادي اليه ملتجي
السلم وقولنا من سلب قدرته على الكلام يمشي على مذهب القايلين
بالصرفة وهو ان الحكما اختلفوا في وجه عجز البشر عن الاتيان بمثل
القران وان كانت حروفه من جنس الحروف التي ينطقون بها والى
ذلك الاشارة عند المحققين بالم اي ان هذا القران حروف من
مثل هذه الحروف التي تؤلف منها كلامكم فاتوا بمثله والا فاعلموا
انه من عند الله فقيل ان الاتيان من جنس مقدورهم الا ان الله تعالى
صرفهم عن الاتيان بمثله معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم ويعبرون
عن هذا المذهب بمذهب اهل الصرفة وقيل ان الاتيان بجنسه
ليس من جنس مقدورهم لكن لما كان الاتي به بشر تلعثم قامت
الحجة عليهم في دعوى الرسالة وانه من عند الله والقول الاول اقل
في الاعجاز لان عجزهم عما هو من مقدورهم ادخل في قيام الحجة مما ليس
من جنس مقدورهم ولما كانت ايه القران العظيم في الطرف الاعلى
من البلاغة وعجز الخلايق عن معارضته وعن الاتيان بمثلها الجرم
ردت بلاغتها اي صرفت وابطلت فصاحتها دعوى معارضها رد الغيور
في الساليد الجاني عن نشابه الحرم فان كونه غيورا يقتضي ان لا يسامح

في

بهذا
في ترك الجناة لا لما هي اليه وان لم يكن من محارمه بل يرد ابدا
عنهن بمقتضى طبعه فكيف برده يد الجانب عن حرمه فهو واشار بعدا
الى مشيئته الاداب حيث عارض القران لما ادعى النبوة واراد ان ياتي
بعبارات يشبه القران العظيم الذي جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم
فقال يعارض سورة العاديات والطاحنات طحنا والعاجنات عجنا
والخابزات خبزا فما افلح ولا بارك الله فيه وهذه الايات المذكورة لها
معان كثيرة لا نهاية لها في كثرتها وامداد بعضها بعضا كموج البحر في مدد
واشار بهذا الى قول علي رضي الله عنه لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من
تفسير الفاتحة وما حكي عن بعضهم انه قال لكل اية ستون
الف فهم وما بقي من فهمها اكثر وما قاله الاخر ان اقل ما قيل في العلوم
التي في القران من الجواهر المعاني المجموعة فيه اربعة وعشرون الف علم
وثمان مائة قال بعض العارفين ويظهر بيان ما قاله الامام علي
رضي الله عنه من جهة كون اولها ان العبد اذا قال الحمد لله رب
العالمين يحتاج ان يبين معنى الحمد وما يتعلق به والاسم الجليل الذي
هو الله تعالى وما يليق به من التنزيه ثم يحتاج الى بيان العالم وكيفيته
في جميع انواعه واعداده فقد قيل ان الله سبحانه عشر عالما السموات
السبع والارضون السبع وما فيهم عالم واحد وان في الارض الف عالم ربعمائة
في البر وستمائة في البحر فيحتاج الى بيان ذلك كله اذا عد الالف
المذكور بهوى ذلك كله شاقا اذا قال الرحمن الرحيم يحتاج ايضا الى
بيان هذين الاسمين الجليلين وما يتعلق بهما من الجلالة وما معناهما
ثم يحتاج الى بيان الحكمة في اختصاص الوصف بهذين الاسمين الجليلين

دون غيرها من الاسماء التي تشاركها لانها اذا قال مالك يوم الدين يحتاج الى
بيان ذلك اليوم وما فيه من المواطن والاهوال وكيفية ذلك العالم الله
مما يتعلق بذلك رابعها اياك نعبد واياك نستعين يحتاج
الى بيان المعبود وجلالته والعبادة وكيفيتها وصفتها وادابها
اختلاف انواعها والعابد وصفته والاستعانة وادابها وكيفيتها
خامسها اهدنا الصراط المستقيم الى اخر السورة يحتاج الى بيان الهداية
ما هي والصراط المستقيم واضداده ما هي وبيان المغضوب عليهم
والضالين وصفاتهم وما يتعلق بهذا النوع وبيان المرضي عنهم
وصفتهم وطريقتهم فعلى ما ذكرنا من هذه الوجوه يكون ما قاله الامام علي
رضي الله عنه هذه المعاني التي اشار اليها الناظم رحمه الله تعالى فوق جوهره
في الحسن والقيم اي في حسنها وما لها من التعدد والشرف فائقة حسن
جوهر البحر وهو الدر المستخرج منه والملاقي القيمة عليه بجامع الاثنان القيمة
في المفهوم اي مقداره وفي هذا البيت الجمع بين التفريق وهو ان
يدخل شيئا في معنى واحد ثم يفرق بين جهتي الادخال وهو في البيت
التشبيه كثرة معاني القران وحسنها وقدرها بالبحر وفرق بين جهتي
الشبه فاما الكثرة فتشبيه موجه في المدد واما الحسن والقدر فيريدان
على حسن جوهره وقيمته واذا كانت معانيه هذه الايات كموج البحر في
مدد فلا تعد ولا تحصى عجايبه لعدم تناهيها ولا تسام بالاكثار من ترداده
بالسئم اي الملال ويحتمل ان يريد على اكثار ما جاء به من المعاني او اكثار
ما ورد فيه من التكرار لا سيما تكرار القصص لان شان ما كثر اعاده او كثر
ترداده ان يمل ويعبره ما من الكلام ولو بلغ الغاية فيما يليق به من الحسن

البلاغة

والبلاغة يمل مع الترديد ويعادي اذا اعيد وايات القران بخلاف
ذلك كما ورد في الحديث فقاريها لا يمله وسامعها لا يمجها الاكباب
على تلاوتها يزيدها حلاوة وترديدها يوجب لها حلاوة وطلاوة
قرت بها عين قاريها اي حصل لها السرور كان عين الحزين مضطربة
وعين المسرور ساكنة وقيل هو من القر بالضم هو البرد اي بردت
بدمعة الفرح ولم تسخن بدمعة الحزن من قرت اليماني
فقعدت الا انه ان كان المراد القاري ترجح عوده ما اضيف اليه
من الايات التي هي الالفاظ وان كان المراد المستمع ترجح عوده على
المعاني والمانوت عينه بقراة الفاظها او بابهاج معانيها فقلت
لصح لقد ظفرت ايها القاري بحبل الله وهو عهده الذي بينه وبين
خلقه فاعتصم به اي استمسك بركة قرانه من عذاب الله او استمسك
باتباع اوامره واجتناب نواهيه من الوقوع في المخالفة
المودية الى عقاب الله تعالى نعوذ بالله من المخالفة واستعارة
الحبل لايات الله تعالى قد يقال انها تجريدية لان الاعتصام
يناسب المستعار له واما قوله استمسك بالعروة الوثقى
فاستعارة العروة للايمان ترشيحية لان الاستمساك يلايم
المستعار منه ووجه استعارة الحبل للعهد ان الحبل سبب يتوصل
به الى الاشياء وكذا عهد الله تعالى يتوصل به الى ثوابه ثم خاطب القاري
الذي يرجي له ان تقر عينه بقوله ان تتلها ايها القاري خيفة من حر نار لظى
التي هي جهنم اطفات نار لظى من اجل وردها الشبم بفتح المعجمة وكسر الموحدة
البارد واستعارة الورد للايات ترشيحية لان الشبم مما يلايم المستعار منه

ووجه التشبيه ان ما يطفي ورده حرارة العطش وورد الايات يطفي حرارة
جهنم اعاذنا الله منها بمنه وكرمه وايات القران المذكورة **كانها الحوض**
تبيض الوجوه اي ذو الوجوه **به من العصاة** الذين يخرجون من النار
بشفاعته صلى الله عليه وسلم والحال انهم **قد جاءوه كالحمم**
من النار اي كالفحم ووجه التشبيه ان ايات القران العزيز لما كانت
تشفع في تاليها وقد احترقوا في دارها فيعودون بيضا كالقراطيس
ثم يدخلون الجنة ومراده بالحوض مسماه اللغوي فيحمل على نهر
الحياة لان تلك صفته ويحتمل ان يكون المراد حوضه صلى الله عليه
وسلم لانه يجوز ان يكون نهر الحياة اول مرتبته ومنها الحوض
وفي هذا البيت التلميح لانه اشار الى ما ورد في الخبر من اغتسال الجهنميين
في نهر الحياة **و** هذه الايات ايضا **كالصراط** استقامة وهو دين الحق
الذي لا اعوجاج فيه او يكون مراده الصراط الذي هو جسر على متن جهنم
وهو ارق من الشعرة يسير الناس عليه الى الجنة في قدر اعمالهم
فانه خط لا اعوجاج فيه وكما ان من لازمان فانه لا يسير على متن الجسد
بسير استقيما من عوسبل الامن كان على طريق الاستقامة في الدنيا مستقيم
و هذه الايات المذكورة **كالميزان معدلة** بالنصب على التمييز ايضا عدلا
وحقا فالتمييز الصراط لدلالة الحسي عليه ووجه التشبيه بين الايات
وبين الميزان ان الايات في احكامها واخبارها كلها ذات عدل واستقامة
كاستقامة الطريق والميزان **فالقسط** بكسر القاف وهو العدل **من غيرها**
وهو ما يرجع اليها من السنة اعوزها **في الناس لم يقم** والمراد بالناس الخصوص
ولا يلزم ان لا يكون في اهل التوراة وغيرهم من اهل الكتب السماوية عدل

وعو

وهو بالحالة وكانه يقول له اذا كانت هذه الايات بالمنزلة التي وصفت
فكيف صح من كثير من الكفار انكارهم كونها من عند الله تعالى وانكارها لانها
في نفسه نبوة الاتي بها فقال لا تعجبن لحسود راح ينكرها اي ولى
منكرا واصل راح سار بالعشي ثم استعمل في الذهاب والرواح
نقيض الصباح وهو من الزوال الى الليل وسراده انه انكر ما وضحت
دلالته وتبين كالبين الاشيا المحسوسة بحاسة البصر في نصف
النهار وهو اوضح وقت الرواح وهذا انسب لقوله تجاهلا اي لا حقيقة
لكونه الفهم لصورة الجهل فانكاره ليس جهل منه لان ما تجاهله
في الوضوح كالنهار لا يجهل لكنه لا يجهل لكند اظهر التجاهل وكيف يوصف
بالجهل وهو عين الحاذق الفهم اي الماهر في الاشيا بحيث لا يخفى عليه
تمييز الحق من الباطل الذي ليس حذاقة عن طول التجارب والتكرار
لكونه كان بايد الطبع بل حذاقة ومهارته مع كونه فاهما بالاصالة
وبلا شك انه يحصل بالتمييز مع كونه فاهما ما لا يحصل بالتمييز مع البلادة
الاصلية تظهر بعد التقديرات الفاهم ليس مقتداه الحاذق كما زعم
بعضهم ثم استدل على عناده بقوله قد تنكر العين ضوء الشمس من
لعلها قام بها من رمد يمنع من النظر اليه فلذلك الانكار نكون من السطوع
الضوابع العلم بوجوده وقد ينكر الفم طعم الماء من سقم وليس هو الا محض
نكور من استعمل مع العلم بما هو عليه من حقيقة الطعم في نفس الامر
ولما مدحه صلى الله عليه وسلم بما مدحه به عبر اعنه على سبيل الغيبة
انتقل عليه بالخطاب فقال يا خير من يمم العافون اي قصد الطلاب المعروف
ساحته حال لو لهم ساعين سعيا بحيث مجدين في المشي استعجالا

لتحقيق ما تعوده اسنه من الظفر بالمطلوب وامن الخيبة وحال
كونهم راكبات فوق متون الاينق الرسم الى ظهور النوق الشديدة
الوطى لقوتها حتى انها تسمى في الارض بشبيه اثارا ظاهرة
كل ذلك حصول البغية سريعا والرجوع للحاجة في اقرب وقت
والاينق جمع ناقة وهو مقلوب واصله اونق جمع قلة استثقلوا
ضمة الواو فقدموها فقالوا اونق ثم عوضوا من الواو يا فقالوا
اينق ثم جمعوها على اياينق وقد تجمع الناقة على نياق كنوق ثم
عطف على قوله يامن هو الاية الكبرى لمعتبر تعالى وتعدد كل
فانه توفيق الله تعالى يحمله بادله لنظر انه خير خلق الله وانه بعثه
الى الخلايق المغمورين في الضلالة فدل على الله وعرف به
والى بالايمان بتعظيم والكتاب الا بتعظيمه من العلى
الوهاب وحينئذ فمن بلغ في الاية الى هذه المنزلة والدلالة على الله
ان تكون نعمة عظيمة لا اعظم منها كما قال ويامن هو النعمة العظمى
لمغتنم عند الله من السعادة الابدية واجاز بعضهم ان تكون من
في الموضعين معطوفا على من في قوله يا خير من يمم فان عطف على
خير كما هو ظاهر كانت من والفخر عليه صلى الله عليه وسلم عليه
وحده وان عطف على من فالتقدير ويا خير من هو النعمة فيكون
المراد بمن هو الاية جنس متعدد ويقتضي المعنى انه صلى الله عليه
وسلم خير ذلك الجنس ويشمل النبيين والملايكة فيستفاد من كلام
الناظم تفضيله صلى الله عليه وسلم على الملايكة كما هو مذهب اهل
السنة في تفضيل الانبيا عليهم الصلاة والسلام عليهم ثم اختصر

لهاد

كانه يقول ومن اياته الكبرى سريه من حرم والمقدم سكة ليلا الى حرم وهو
حرم بيت المقدس سريا كاسرى البدر التام النور في داج من الظلم ووجه
التشبيه انه صلى الله عليه وسلم نور مبين كالبدر روانه والعظم وقد قطع مسافة عظيمة
في ليل مظلم كما يسري البدر المنير في ليل مظلم ويقطع منازل سرى واسرى
بمعنى اي سار ليلا واسرى لغة اهل الحجاز وجا القران بهما قال تعالى
فاسر باهلك واسرى بعبده وقال السهيلي سرى لازم واسرى
متعد لكن حذف مفعوله وظن اهل اللغة انهما بمعنى وسبحان الذي
اسرى بعبده اي اسرى البراق بعبده فحذف المفعول استغناء عنه
لان المقصود بالخبر ذكر محمد صلى الله عليه وسلم لا ذكر الدابة لقوة الدلالة عليه
قال واتفق الرواة في تسميته اسرا ولم يقل احد منهم سرى واتفق
القرا على اسرى فان قيل اذا كان معنى سرى سير ليلا فما فايدة قوله
ليلا فالجواب ان فايدته كفايدته في قوله تعالى سبحان الذي اسرى
بعبده ليلا وهو التاكيد او معناه سير ليلا حكاه في القاموس وذهب
الزمخشري الى ان فايدته تقليل المدة التي قطع فيها تلك المسافة البعيدة
التي هي مسافة اربعين ليلة قطعها في بعض الليل حيث يعطيه تنكير
ليلا فان التنكير فيه للتقليل اي وقع الاسرا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى
في بعض الليل ولو لم يذكر لاحتمل ان يكون ذلك في الليل كله وليس كذلك
بل كان في بقية الليل لترقيه الى فوق السبع السموات العلى وتنبيه من رب
العزة جل وعلا ما تلقى من التكاليف والاحكام وما اطلع عليه من احوال الجنة
والنار ومخاطبات الانبيا وما راى من العجايب كل ذلك في ليلة واحدة
فسبحان القادر على ما يشا قاله الزمخشري ويشهد لذلك قراة عبد الله

وحدة بقية من الليل اي من بعض انتهى وقيل انما اسرى به بليلات
الله تعالى انما محى اية الليل وجعل اية النهار مبصرة فكسر الليل فجبر
بان اسرى بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل افتخر النهار على الليل بالشمس
فقيل له لا تفتخران كانت شمس الدنيا تشرق فيك فسيعرج شمس
الارض في الليل الى السما وقيل له انه سراج والسراج انما يوقد في الليل
وقيل لانه سمى بدرا في قوله تعالى طه فان الطا بتسعة والها بخمسة
وذلك اربعة عشر فكانه قيل يا بدرا اربعة عشر وهذا ابما سبب
قول الناظم كما سرى البدر وفيه در القايل حيث قال

قلت يا سيدي ولم تؤثر • الليل على بهجة المستبصر •
قال لا استطيع تغيير رسمي • هكذا الرسم في طلوع البدر •
انما زرت في الظلام لكيما • يشرق الليل من اشعة نور •

ثم عطف على سريت قوله وبت ليلة اسرايك من مكة الى بيت
المقدس بعد وصولك الى المسجد الاقصى ترقى الى ان بلغت سما
الدنيا ثم في السموات سما بعد سما الى ان نلت وبلغت منزلة شريفة
محلها من المكان الذي شرفها الله تعالى كالعرش مثلا او غيره مما الله
يعلم وحده سبحانه وتعالى ان يحاله بشرط ومن عن قاب قوسين حالة كون
تلك المنزلة التي نالها لم تدرك ولم ترم اذ لا يطلبها الا من يمكن ادراكه
وقاب قوسين اي مقدار قوسين اقاب قوسين قدر طولها وقيل
قدر الوتر منها قال الجوهري ويقال بينهما قاب قوس وقيب قوس
وقاد قوس وقيد قوس اي قدر قوس وقيل المراد بالقوسين قوسا
الحاجب ثم عطف على قوله وقدمتك بمعنى صيرتك مقدما بيان

بهم

بينهما او التقديم في الرتبة والمكانة والكاف مفعول وافق الفعل التأكيد لان جميع
في معنى جمع غير الاضافة الى جمع التكسير الذي يجوز تانيثه واذا جاز
في نحو قطعت اصابعك تانيث المضاف لاضافته الى مؤنث مع ان المضاف
ليس في معنى المضاف اليه فهاهنا احرى لانه في معناه والفاعل
قوله جميع الانبياء والرسل تقديمه بالنصب مفعول مطلق مشبه به
اي تقديما مثل تقديم محمد وهو الرئيس عليهم خادم ويحتمل
ان يريد بتقديم الانبياء له صلى الله عليه وسلم ما ورد في حديث الاسرا
من انه صلى الله عليه وسلم امهم في الصلاة ولفظ الحديث صالح للعموم
ولا بعد في هذا فان تلك الحالة خارقة للعادة ومنهم من يحتمل
ان يعود على المرئية ويحتمل ان يعود في الليلة المفهومة من ليلا باعتبار
انه ليلة او ساعة منه والباقي الوجهين المطرحة واما قوله والرسل
فيحتمل الخفض عطفا على الانبياء وجميع الرسل والرفع عطفا على
جميع وعلى الاول فهو صريح في العموم وعلى الثاني ظاهر فيه وبلا شك
ان القول بامامته بجميع الانبياء وجميع الرسل يتوقف على لسان
ثابت من السنة لانه لم يصرح في الاحاديث الصحيحة الا باف
الانبيا خصوصا لكن في السموات وصلاته بهم انما كانت في الارض
فلا بعد في العموم وفي قوله والرسل على المشهور في كون الرسول اخص
من النبي عطف الخاص على العام ثم عطف عليه قوله وانت اي ولانك
والحال انك تخترق يعني تقطع السموات السبع الطباق التي
بعضها فوق بعض طبقة بعد اخرى حالة كونه مارا بهم اي بالانبيا
الذين قدموك والحال ايضا انك في موكب من الملائكة كنت

انت يا محمد صلى الله عليك وسلم فيه صاحب العلم وهو الراية قال ذلك
على عادة العرب في اعطا الراية لزعيم القوم وريسهم الذي
بثبوته يثبتون وبانهزامه ينهزمون واذا كان صاحب راية
الملايكة فوقهم يحتمل معنى كونه صاحب الراية
اي انها تابعة له ومتحركة بحركته تميل معه حيث مال لا
لا انه يمسكها بيده اذ هذه الحالة اشرف وليس استعمال العرب لها
بهذا المعنى في قولهم صاحب اللوا لان بعضهم يستدل بانه لو كان
معناه امساكها لشغله ذلك عن القتال بل معناه تبعيتها له لان
الصحيح في استعمال العرب انما هو مسكها ولا يمنعه ذلك من القتال
بها بل يقاتل بها ممسكا اشد القتال ولذلك لا يليق بامساكها كل
احد بل قال علي رضي الله عنه لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله
ورسوله ويحبه الله ورسوله عند المحققين وهو في رتبة المشار اليه
لانه تقترن بالقصد والاقبال عليه والمشار اليه ذلك يقصد به جل الا
واحد بعين لا التتابع في جنسه والظاهر ان التشبيه بالمفرد
العلما انما هو في الندا بالرفع خاتمة لا في حفض مقامات عبره
واذ ظرف للزمان الماضي وقيل حرف تعليل اي حفضت كل مقام
اذ نوديت بالرفع كيما تفوز لتظفر بوصل منه تعالى وهو المقام
الذي رفعك اليه والمنزلة التي اسكنها اياها دلك الى الصعود اليها
وذلك الوصل مستتر من العيوب اي استتارا ذكار لك اي مستتر
عن العيون وسر بالخفض عطفا على قوله بوصل اي وكي تفوز بمعانيه
من اسرار الحق الذي اوحي اليك في ذلك المقام مكتتم اي مكتتمه

حتى

عن الاذان وعن الاسماع اما استتار ذلك الوصله عن الغيب من عامرة
ملائكة انما اسرى به صلى الله عليه وسلم بالليل وقد نامت العيون
وهدات الاصوات واما استتاره عن اعين ساير الانبيا والمرسلين
والملايكة المقربين فلانه مقام لا ينبغي لغيره الوصول اليه ولعل
هذا السر المكتتم لم يبثه صلى الله عليه وسلم اذ لا يطيق حمله
غيره صلى الله عليه وسلم فيما رواه عن ابن عباس رضي الله عنهما
علمني ربي ليلة الاسرا علوما شتى فعلم اخذ علي كتمانه
وعلم خيرني فيه وعلم امرني بتبليغه وهذا البيت من
التضمين لتعلق في فيه بما قبله وبفتح نقاف في فحفظت
او بهو ديت اي ما دهناك في او بالرفع اي رفعناك في فقوز وما هنا
مصدرية لتسبك مع الفعل بعد ها بمصدر هو المجرور اي تفوز
وتقوز عليه هذا امر فوع ويحتمل ان يكون منصوما بان مقدرة
ولما كانت هذه المرتبة العظيمة له صلى الله عليه وسلم وقد بلغت
الغاية القصوى في الجلال والنهاية العظمى في الكمال اورد قوله
مخاطبا له صلى الله عليه وسلم فحزت بسبب ما نلت من تلك الرتب
كل فخار وتعظيم يليق بالمخلوق غير مشترك بينك وبين غيرك وجزت يعني
قطعت او تجاوزت كل مقام غير مزدحم وجل ما وليت من رتب
شريفة وعز ادراك ما وليت من نعم المقامات العلية ولما مدحه
صلى الله عليه وسلم بما يتضمن تفضيله على ساير الانبيا فرع على
ذلك ان امته افضل الامم فقال مخبرا عن هذه الامة باختصاصها بالبشرى
على وجه بيّنه من دخوله فيهم والاخبار انه منهم بشرى لنا معشر اهل الاسلام

بانباء صلى الله عليه وسلم ان لنا من العناية في ان جعلنا من امة هذا
النبي الكريم ركنا قويا لا اساس والبنيان غير منهدم كيلا يكن به من لادبه
ولا يقيام فانه حصن حصين وعز مكين اماتنا الله على سنته
واتباع ملته بمنه وفضله ورحمته ومن البشرى لنا معشر الاسلام
ما ذكر في بعض الاخبار الاسرائيلية انه صلى الله عليه وسلم لما كان
من ربه تعالى قاب قوسين قال اللهم انك عذبت الامم بعضهم
بالحجارة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالمسخ فما انت فاعل بامتي
قال انزل عليهم الرحمة وابدل سيئاتهم حسنات ومن دعاني
منهم لبيته ومن سالني اعطيته ومن توكل علي كفيته وفي الدنيا
استر على العصاة وفي الاخرة اشفعك فيهم ولولا ان الحبيب
يحب معاتبة حبيبه لما حاسبت امتك ولما اراد صلى الله عليه
وسلم الانصراف قال يارب لكل قادم من سفره تحفة فما تحفة
امتي قال الله تعالى انا لهم ما عاشوا وانا لهم اذا ماتوا وانا لهم
في القبور وانا لهم في النشور فركننا لا ينهدم حال حياتنا ولا حال
مماتنا ولا في بيوتنا ولا في قبورنا ولا في سكناتنا ولا في نشورنا القدر
ربنا وجل تعالى ان يكون بشرى بشهيد احد او في اي هذه المناقب
الشريفة بشرى او صفة او ساغ الابتداء به في مذهب من يجيزه
لحصول الفائدة وما كان في قوله من العناية ايهما او دعوى من غير
دليل نشرح ذلك او ذكر دليله بقوله لما دعى الله يعني لما سمى الله
نبينا صلى الله عليه وسلم الذي هو داعينا لطاعته جل وعلا باكرم الرسل
لزم من ذلك ان كنا نحن الذين هم امته اكرم الامم عنده جل وعلا

لان

لان اكرم الرسل لا يبعث الا الى اكرم الامم فجميع من بعث اليهم صلى الله عليه
وسلم خير الامم مؤمنهم خير المؤمنين وكافرهم خير الكافرين كما قال تعالى
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ولذا ارتفع عنهم المسخ والخسف
وغيرهما مما حل بالامم قبلهم ويجاب عن قوله تعالى اكفاركم خير
من اوليكم فانه في سبيل الانكار يعني لا يكون كفار هذه الامة خيرا
من كفار من غير هلاك الكبراء كفار قريش خاصة لزيادة طغيانهم
والمراد ان يكونوا خيرا منهم في القوة **راعت** اي افزعت **قلوب العدا**
انباء بعثته بكسر الباء يعني الاخبار رسالته صلى الله عليه وسلم
التي صدرت من الكهان والمنجمين قبل مبعثه عليه السلام وبعده
كما كانوا ينعتون انه نبي سيظهر على كل دين وانه يذل كل جبار عنيد
وهذه الاخبار الذي روعت قلوب العدا والحال انهم غافلون عن
دين الاسلام في حين غفلة **كنبأة اجفلت غفلا** اي كصوت ورد على
غفل من الغنم لكونه رائعة في ربعها مشتغلة في الكلا وشهوا نفسها
فاجفلها ذلك الصوت ونفرها واسناد الروع الى القلوب يحتمل ان يكون
من مجاز الحذف اي اصحاب القلوب لحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه ويحتمل ان يكون باسم الكل من تسمية البعض فيكون من مجاز
المرسل في الوجهين سميت الذوات باسم القلوب لانها محل المعنى
المسند اليه واما اسناد راعت الى انباء فمن المجاز العقلي لانه اسناد
الفعل الى سببه لان خالق الروع في القلوب هو الله تعالى **وما زال**
صلى الله عليه وسلم **يلقاهم** فيطا عنهم ثم يطعنهم **في كل معترك** وقع بينه
صلى الله عليه وسلم وبينهم وذلك بنفسه تارة وبجيشه ورجاله تارة

اخوي حتى حكوا من كثرة ما اوقع بهم من القتل او الجراحات بالقنا
طعنا او بالسيوف ضربا او بالنبل رميا لحما معروضا على وضم وهو كل
ما وضع عليه اللحم من خشبة او نحوها ليقيه الارض ويقال للحقير
الذليل على طريق الاستعارة لحم على وضم ويحتمل ان يكون هو
المراد هنا لا يحتمل الحقيقة لانه صلى الله عليه وسلم جاهد
الكفار حتى تركهم قتلى معدين لان ياكل السباع والطيور لحومهم
ولما استمر فيهم القتل واثخنتهم الجراحات ودوا الفرار منه واثخنتهم
صلى الله عليه وسلم اي تمنوا ما لا ينبغي فرهم ما هو اقبح الخصال
عند العرب واذمها وهو الفرار من الزحف فانه من افعال اللئام
الجبناء وما كانوا يرضون به فضلا عن تمنيه ومن كثرة ودادهم
للفرار وصيرورته من شهواتهم المطلوبة واللذات حين فرهم
من غضب الله تعالى الذي حل بهم على يده صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين تنزل عندهم منزلة المحال الذي لا يبالى الا بالتمني
والتمني انما هو بمحال عادة كعود الطيران في الهوى اذ لم يروا ما ينجيهم
من طلبه صلى الله عليه وسلم اياهم الا ذلك فكادوا لتمنيهم الفرار
الموصوف وشدة حرصهم عليه لو امكنهم يغبطون به اشلا جمع شلو
بكسر الشين وسكون اللام وهو العضو من اللحم شالت اي في الجو
مع العقبان والرخم لرفعها اياها فكانهم كانوا يقولون يا ليت لنا
من الارتفاع في الجو مثل ما للاعضاء اللحم التي رفعتها العقبان والرخم
فارتفعت معها الى مسارها وانما غبطوا اعضاء اللحوم العقبان
والرخم لما حصل بينهم وبين تلك الاعضاء من المشابهة بسبب

طعن

لحوم القتلى وغيره في حالتهم حالت اعدائنا اللحم لا حراك لها الاجهال علي ضا
ولو شبههم بالعقبان والرخم لادوم الكلام علي اوك امرهم من الشدة
والقوة والماخص هذين النوعين من الطير لابعادهم في الارتفاع ومن
شدة ما دخل في قلوبهم من الفزع وخامر بكونهم من الهلع تمضي
عليهم الليالي وكذا ايامها ولا يدرون عدتها لما هم فيه من الكرب ما لم تكن
تلك الليالي بايامها من ليالي الاشهر الحرم فانهم يدرون ما مضي منها
لانهم يامنون فيها من طلب المومنين اياهم فيستفيقون من
سكرة الخوف وترجع اليهم عقولهم ويعود اليهم ميزهم فحينئذ يتفطنون
لما مضي من الليالي ويدرون عدتها وهذا كان قبل اباحة
القتال في الاشهر الحرم عند من راي انه ابيح فيها القتال قال
الله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم
الاية وذلك عطاء لم يبح ولا ينبغي القتال في الاشهر الحرم
وهو ضعيف ثم قال كانما الدين اي دين الاسلام ضيف حل
ساحتهم اي ساحة اهل الاسلام المتدينين به نزل علي اهل الساحة
بكل قرم بفتح القاف اي مع كل سيد الي لحم العدا للاسلام قرم
بكسر الراء اي شديد الشهوة فلا شك ان الكرام يسعون في تحصيل
شهوة الضيف ولو يبذل مهجهم وكانهم من شدة ما طمح بهم من القتال
جرور بحرب وقطعت اعضا المطبخ للضيفان الذين اشتهوا لحمهم
وهذا الضيف الذي وقع التشبيه سيد من السادات ولذا انزل
مع سادات امثاله ومن شان من هو مثله هذا السيد انه يجر
بحر خميس اي يستتبع جيشا كالبحر في موجه واهلاكه الكفار وسمي

الجيش خميسًا لانه خمسة اجزا مقدمة وقلب وميمنة وميسرة
وساقة وهذا السيد لكونه تأيد بهذا الجيش يشبه من يجر خميس
جيش برسل كاين بمجمع ذلك الجيش فوق جبل سابحة ذلك
الجيش ترمي ذلك الجيش بموج من الابطال ملتطم بعضه ببعض
لجانبه والمراد به الافعال الواصلة للكفار بالات القتال من
رمي وقتال وغيرهما من كل منتدب بكسر الدال يعني مجيب
لدعا الله ورسوله اياه الى قتال الكفار محتسب اجره فيما يناله
من موت او دونه على الله تعالى يسطو مستاصل للكفر بقتل
اهله فلا يوجد وكانه قوله منقطع الثاني كيد لستاصل وكلمة
ما من صفات الالة التي يقاتل بها فيكون على هذا التقدير اداة
جرهم كان تعرض لذكر خيلهم وما زال هذا المنتدب يسطو مستاصلا
لاهل الكفر حتى غدت اي صارت ملة الاسلام وهي مصحوبة بهم
اي بالصحابة الابطال من بعد غربتها موصولة الرحم بكثرة ما يتبني
اليها ويدخل فيها توصلت بذي رحمها تشبيهًا لكثرة القيام بحقها
بوصل رحم ذات رحم وموصولة في البيت منصوب خبر لغدت
وكذا قوله مكفولة اي محفوظة ابدًا بكفاية الصحابة رضي الله عنهم
منهم لقيامهم بحقها واعزازهم لتربيتها ومكانتها فهي تشبه امراة
مكفولة بخير اب وخير بعل فلم تيتم من جهة الاب ولم تئم من جهة
البعل ولا شك ان المراة التي يكفلها خير اب وخير بعل في غاية
عز المكانة ورفاهية العيش وكان النبي بمنزلة من الملة منزلة الاب
هو الذي يدعو الناس اليها ويبينها كالنبي صلى الله عليه وسلم ومن

بمنزل

بمنزلة منزلة من الخلفا الراشدين والعلما فانهم الذين يدعون الناس
الى دين الله تعالى والذي بمنزلة منزلة النحل هو الذي يدعو الى
العقول فيها فيستجيب ولا تستبعد ايها الجاهل ما ذكره مما صارت المخالف
اليه مسالة الاسلام كان اولياها هم الجبال انفسهم كالجبال
التي ارسي الله بها الارض من بعد ما كانت تميد وتتكفا حتى قالت
الملايكة فيها تبارك خلق الجبال يا ربنا ما هذا بمقر على ظهرها احدا
فخلق الله الجبال فارسيها بها فثبتت وتمكن الانتفاع بها وتمتع
بخيرها ونعيمها الاناسي والانعام وهذا التشبيه البيانيون تشبيه
بابلغ الاستعارة فالصحابة رضي الله عنهم ومن ذلك بعدهم واستمر
في مشاكلتهم من عباد الله الصالحين واوليايه المقربين جبال ارض
رسالة الاسلام التي بهم بعد تزلزلها سكنت وتقطع دايرة من خارجها
من بعد اضطرابها ثبتت وان ارتبت في عدا أكسل منهم مكادمهم اسمه
فاعل اي من مكادمهم من اعدايهم يخبرك المصادم لهم ما ذا راى منهم
من الشدة التي لا توصف لعظمها في كل مصطدم وقع لهم اي حضره والمراد
الاماكن التي التقوا فيها مع اعدايهم والمصادمة اصطكاك الصفايح
ولعل مراده تسل عنهم مورخ اخبار مكادمهم والانبيين زمن مكا
دمهم وزمنه مبين من السببين وكيف يتصور سوال من عاد
رفاتا وسمادمهم اصطدم تجنيس الاشتقاق وهو من رد العجز
الى الاعجاز ثم قال وسل حنينا وسل بدرا وسل احدا اي سل زمن
كل فان تلك الازمنة فصول حتف لهم اي ازمنة موت للكفار ادى
اليهم لما يصيبهم من الوخم فان ما يموت منهم في زمن الوباء تطاوله

لا يبلغ كثرة فيهم منه زمن مقاتلتهم المؤمنين في الساعة الواحدة منه
وهذا التفسير الى الاقرب لان نزوله نصوله حنين بدل من حنين
وما عطف عليه بدل مجمل من مفصل والفصول جمع فصل وهو اسم
الزمان ويحتمل ان مراده وسئل اهل حنين واهل بدر واهل
احد او مؤرخ وقعة حنين وبدر واحد وكانت غزوة حنين
بعد فتح مكة سنة ثمان وهو واد بين مكة والطائف وفيها التقى
رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المشركين من هوازن وثقيف
فانهزم الكفار وقتل منهم كثير وسبيت اموالهم ونساؤهم
وكانت غزوة بدر من غير قصد من المسلمين اليها ولا ميعاد يوم
الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة ثنتين وبدر
اسم ماء منه يوم بدر لماء الذي يليه وبين المدينة ثمانية وعشرون
فرسخا على طريق مكة وعنده كانت وقعة بدر الكبرى وقتل فيها من
صناديد قريش سبعون واسر منهم سبعون وكان عددهم نحو الالف
والمسلمون ثلاث مائة ويروى انه نزل جبريل عليه السلام
في خمسمائة وميكائيل في خمسمائة في صورة الرجال على خيل بلق عليهم
ثياب بيض على رؤسهم عمائم بيض وقد ارخوا اطرافها بين اكتافهم
وقال ابن عباس رضي الله عنهما كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض
ويوم حنين عمائم خضر ولم تقاتل الملائكة في يوم سوى يوم بدر وكانوا
يكونون فيما سواه عددا ومددا وكانت غزوة احد في شوال سنة ثلاث
وهو جبل بالمدينة كانت الوقعة فيه واستشهد فيه من المسلمين سبعون و منهم
حمزة وقتل من المشركين اثنان وعشرون رجلا وكان جميع المشركين ثلاثة

الاف

الاف والمسلمون سبعماية ولما وصف الناظم رحمه الله الصحابة
رضي الله عنهم بما وصف اردف ذلك بقوله **المصدري البيض** بضم الميم
بالاضافة والمصدري منصوب بامار اطلع اواذكر والاصل ٣
المصدرين وحذفت النون للاضافة او للتحقيق يعني
ان الصحابة يرجعون صفايح السيوف البيض **حمرا بعد**
ما وردت تلك الصفايح **من** دما اعضا **العدا كل مسود من**
اللمم تشبه السيوف بابل بيض اوردت ينبوعا اسود
يجري بما احمر ثم اصدرت وقد عادت بعد بياضها حمرا
من تلبسها بذلك الما الذي وردته وفي قوله كل مسود
دليل علي شجاعة الصحابة رضي الله عنهم وارتفاع همتهم
وانهم لا يرضون الا بقتل سود اللمم وهم الشبان في الغالب
ثم عطف علي المصدري قوله **والكاتبين** اي الطاعنين **بسمر**
الخط التي هي شبيهة باقلام الكتاب واي الرماح الخطية **ما تركت**
اقلامهم حرف اي طرف **جسم** من اجسام الكفار **غير منعجم** بل طعنته
وفي هذا البيت لطايف منها تشبيههم بالكتاب والسمر
بالاقلام دليل علي غاية احكامهم للطعن بها حتي انها في ايديهم
كالاقلام في يد الكتبة لا كبير مشقة عليهم في التصرف بها ومنها
انهم لا يطعنون طعنة الا في محلها كما لا يلحق حرف الاعجام الا
ومنها انهم انما اعجموا حروف اجسام الكفار اي ازالوا العجمة عنهم
بالنقط المبين ليتميزوا به من المومنين فان الامر مختلط في الحروف
فيتميز الكافر بنقطه والموس يسلم منه وما نشات من فعلهم

بالكفار مما ذكر الى امر الكفار الى انه ان قام في جامع الهيجا خاطبهم
اي خاطب المؤمنين تضامنت عنك نامية العجم بكسر الصاد الاولى
اي اشدهم شجاعة قال العلامة ابن مرزوق وهذا البيت
لم يثبت في روايتي وانما هو في بعض النسخ والظاهر انه ليس من كلامه
ولذا وقع اضطراب في تفسيره وهذا شان كثير مما ادخل في هذه
القصيدة مما ليس من كلامه وفي ذلك دلالة على خلوص نيته وصدق
محبته رحمه الله ومما يدل على كونه دخيلا قوله شاكي السلاح فانه
ظاهر الانفصال بقوله غير منجحر لانه لما اخبر ان الصحابة رضي الله
عنهم تنظروا حروف اجسام الكفار وازالوا الاعجام عن اجسامهم حتى
تميزوا اما حققه فيهم من الطعن عن المؤمنين اراد ان يخبر عن
علامة المؤمنين التي تميزهم في انفسهم لان سلامتهم من الطعن
ان كانت مميزة لهم من الكفار نوصفهم باعيانهم فقال شاكي
السلاح اي تام السلاح او حاديه لهم سيما تميزهم من غيرهم
تلك السيما ما كونهم اشداء على الكفار رحماء بينهم واما كونهم يرون
ركعا سجدا من اثر السجود فكانه شهر حوشب تكون مواضع السجود
من وجوههم كالقمر ليلة البدر وما غير ذلك من صفاتهم الحميدة
وكانه قيل لهم ما الفرق الذي ذكرت بين الفريقين في شاكي نحو ي
خفي لا يفطن له الا الاذكيا فلا يحسن جعله سيما لكل احد وانما يدرك
الكثير نشا ونحوه ليس السلاح الكمي فاجاب بقوله والورد يمتاز
بالسيما من السلم يعني ان شجر السلم والورد وان كانا متحدين
مورقين بورق ذي شوك الا ان ذلك لا يمنع ادراك الفرق لكل ذي

بصر

بعض ذات الورد ممتنع على الحيوانات الخسيسة كامتناع الشجاع
من الاعداء الانذال بسهل التناول على الاحباب وطيب رائحة
الورد خلقة وشرف منزلته بهى منظره لايخفى فكانه يقول
كما لايخفى امتياز الورد بسيماه من السالم كذلك لايخفى امتياز
الصحابة رضي الله عنهم بسيماهم من غيرهم ثم اتبع ذلك بما يزيده
بيانا وتثبيتا فقال تهدي بهم الثنا مشارع الهدي اليك رياح
النصر نشرهم لطيب الذي يثار اليه كامتياز الورد برائحته
من السالم فتحسب الزهر حال كونه في الاكمام كل كمي
كل شجاع مكتنف في سلاحه كالزهر في الاكمام على ثباته
التي يكون بها شبه اجسادهم الظاهرة الطيبة حالة كونهم
متقنعين في السلاح بالازهار في الاكمام قبل ان تنشق عنها
فهم رضي الله عنهم من لدن يميز هم بهاهم الظاهرة التي كسيها
الورد في بهي المنظر وطيب الرائحة وذلك لمن شاهدهم فانه
يميزهم بما يوصل اليه رياح النصر من طيب الثنا عليهم وصدق
الخبر عنهم المتواتر بانهم المنصورون واصل كمي بالتشديد
على وزن فعيل حذفت اليا الساكنة وسكنت المتحركة لثقل
الكسرة على حرف العلة ثم شبههم تشبيها مطلقا فقال كانهم
حال كونهم في ظهور الخيل نبت ربا في بهي المنظر وحسن المخبر
وطيب الرائحة والثبات والاستقرار وانهم ان يحركوا عليها لم يتحركوا
عما يقلعهم من اصل ظهورها بل انما يتحركون للطعن والاثقا
مع ثبوت اصلهم كما تتحرك زهر الربا اذا حركته الرياح ثم ثبات

السلم في ظهور خيلهم انما هو من اجل شدة الحزم الذي ادنوه اخو
بفتح الحا لاس اجل شدة الحزم بضم الحاوي سروج الخيل
او غيرها مما يشد به على ظهر الدابة لاس اجل شدهم انفسهم
عليها بحزم وشبههم بنبت الربا ولم يشبههم بالشجر
لان الشجر يشبه العظام من الكفار واما النبت فان الدباج
تعبه بنبا صفة المومن في المحن الدنيوية وخص نبت
الربا لانه احسن النبات لانه ياخذ حظه من الماء فيسيل
عنه ثم ياخذ حظه من الشمس والرياح في المنلات الزاهرة فتجده
اخضر سايغا غضا يروق الناظرين ويعجب حسنه
المتاملين واما نبت المنخفض من الارض فقد يستقر فيه
الما فيقتله ويغيّر لونه لان الظلال التي احاطت به تمنعه
الشمس والرياح وتامل قوله صلى الله عليه وسلم كالحبة
في حميل السيل والشدة وفي قوله من شدة الحزم احتراس
في ظهور الخيل للطريقة وبعض على عند بعضهم والوجهان
في قوله تعالى في جذوع النخل ولما ثبت من وصف الصحابة
رضي الله عنهم ما ثبت من الشجاعة والتاييد الالهي بالنصر
طارت قلوب العدا من اجل باسهم فرقا فما تفرق بين البهم
والبهم الاولى الصائحون البهم وهم شجعان الفرسان والاول بفتح
البا والثاني بضمها وهذا من شدة الفزع والرعب الذي
حل بهم حتى صاروا من الدهش لا يميزون بينهما وهذا احسن
ما يفسر به البيت وبكثرة الصحابة رضي الله عنهم انها في رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم ومن تكن برسول الله صلى الله عليه وسلم نصرته
ان تلقه الاسد في اجامها التي تستتر فيها بالاشجار الملتفة
فان احد الا يقدر على الدخول بها عليها وان انتزع منه
اعز ما يكون فانه لا يتبعها لشدة الخوف منها في اجامها ممتنعة
لانها اذا ارادت على من يريدها في ذلك المكان تزدلزلات
معه من الجمع ما عسى ان يكون خوفا من هيبة صولته لكن
ان تلقه من ينتصر برسول الله صلى الله عليه وسلم العكس الحال
فتقبر الاسد ان احست بذلك المنتصر تجم من هيبته
اي تسكت ولم يسمع له صوت خوفا من ان يكون صولة والا على
مكانه نيابة المنتصر برسول الله صلى الله عليه وسلم فيقبض
عليه ويحتمل ان يريد بالاسد الشجعان وبالاجام الحصون
ويناسب حمل الاسد على الحقيقة قصة سفينة مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الاسد وهذه فائدة رواه وهو
وغيره الصحابة رضي الله عنهم انما هو برسول الله صلى الله عليه
وسلم للعلم به ولا تكون النصرة برسول الله صلى الله عليه وسلم
الا باتباع سنته وترك كلما جاء على خلاف شريعته فمن حصلت
له هذه الرتبة طارت قلوب الاعادي باسمه وسلم من اعدائه
فان تلقه الاسد في اجمة استخفى وجهه واتباع السنة هي
تقوى الله والحامل عليها خوف الله ومن خاف الله اخاف الله منه
كل شيء ثم عقب ذلك بقوله ولن ترى من ولي من اوليائه
صلى الله عليه وسلم غير منتصر به على عدوه واولياؤه هم كل من آمن به

عليه السلام وكان على مذهبه وطريقته **ولا ترى من عدو له غير**
منقصم اي به فيكون من الحذف من الاول آخره لدلالة الاول عليه
ولفظ منقصم بالقاف وفي بعض النسخ بالفا فان قيل اذا اخبر
ان الولي منتصر علم ان العدو منقصم لان من المعلوم ان
احد المتنافيين اذا انتصر فنقيضه يخذل فما حكمة قوله
ولا من عدو فالجواب لا نسلم دلالة الشطر الاول على انقصام
العدو قطعا لجواز ان يغلب بالهدنة ويسلم
مع ذلك والعدو للاشعار به بالاخص المعين سلمنا دلالة الشطر
الاول عليه لكن دلالته على انقصام العدو بالالتزام ودلالة
الثاني بالمطابقة ولما كان سياق هذا المدح فيما نال الاعداء من
المهالك ناسب الاطناب في الاخبار عن احوالهم بدلالة المطابقة
والالتزام وقد علم مما تقرر انه صلى الله عليه وسلم **احل امته**
في حرز ملته وشريعته التي هي اعظم كاعظم الحصون المنيعة
التي لا تنال ولا يدخلها الا من هو من اهلها **كالليث** وهو الاسد
حل مع الاشبال في اجم فانه لا يستطيع الدخول عليه في ذلك المكان
الا الواحد من اشباله اي اولاده او اولها جنسه وهو صلى الله عليه
وسلم بمثابة الليث وامته بمثابة الاشبال والدين الاسلام بمثابة
الاجم وهذا التشبيه اعلى انه حاصل لهم من اليقين بصحة الاسلام
في قلوبهم بحيث عليهم بذل نفوسهم في ذات الله فيشتد لذلك
لنالهم لان موتهم في سبيل الله اشهى عندهم من الحياة وهذا

مهر

هو الحسن الحقيقي والدلالة ما حصل من الايمان في القلوب
بمثابة من حصل في حصن حصين فمن اراد ان يدخله
عليهم فيه شيئا مما يخالفه لم يجد الى ذلك سبيلا وتشبيهه
صلى الله عليه وسلم بالاسد وامته بالاشبال لان الانبيا
عليهم الصلاة والسلام كالآبا لاممهم وانتصار الدين كالاسلام
يكون بالسيف تارة وبالحجج اخرى لاقوى تلك الحجج حجج القرآن
كما افهمه قوله كم جدلت اي كثيرا ما جدلت بتشديد
الدال يقال جدله اي صرعه ويجوز تخفيف الدال الا ان التشديد
يفيد التكثير ويحتمل ان يكون قد تفعت كلمات الله من
جدل بكسر الدال اسم فاعل من جدل جدلا اي احكم الخصومة
وجادله اي خاصمه مجادلة وجدالا والاسم الجدل وهو
شدة الخصومة فيه اي في امر النبي صلى الله عليه وسلم
او في دينه وكم اي كثيرا ما خاصم البرهان اي الحق
بادلته القاطعة وبراهينه الساطعة من خصم بكسر الخا
اي الشديد الخصومة فيه فهو من الحذف في الاواخر
لدلالة الاوايل عليه كفاك بالعلم في النبي الامي وهو الذي
لا يكتب ولا يقرا من معلمه معجزة دالة على صدقه فيما
جا به في زمن الجاهلية وفي امره وكفاك ايتمامايته من
التاديب معجزة في اليتم بضم التا ابتاعا للضمة اليا العرور
الورث وهو في الناس نفقد الاب وفي البهايم فقد الام
فهو صلى الله عليه وسلم فقد مات ابوه وهو في بطن امه

وشان اليتيم في الاغلب ان لا يكون فيه من الادب ما يكون في ذي الاب
لان الاب يجتهد في تاديب ابنه ويسعى في تكميله باكتساب الصفات
الحميدة وغير الاب لا يكون منه ذلك فلما وجد مصطفى صلى الله عليه وسلم
من العلوم ما لا يبلغ بتعليم لمن تصدى له فكيف بمن لم يتصد
ومن الاداب ما لا ينال بارشاد لمن له مودب فكيف بمن عدمه دل على انه
رسول الله حقا صلى الله عليه وسلم ثم عقب الناظم ذلك بالاقرار بما
ارتكبه والتوسل الى الله تعالى في غفران ذلك فقال خدمته صلى الله عليه وسلم
بمديح وهو هذا او كانه يخاطب الله تعالى يقول يا رب خدمت رسولك
عليه السلام بمديح حال كوني استقيل اي اطلب منك ان تقيلني به ذنوب
عمر مضى في نظم الشعر قد كان في الناس والخدم لهم ما النبي في
طاعة الله جل وعلا وهذا ان كان مباحا الا انه قد يجر فيه الى المحرم
اذ قلداني الشعر الذي قلته في الناس والخدم التي صدرت مني لهم
ابو جعلا في جيدي من الاثام ما هو كالقلادة وذلك الذي قلداني هو ما تخشى
عواقبه اذ لو لم يغفر الله مو دالي الهلاك الدنيوي والخسران الاخروي
في كانني بهما هدي من النعم فكما لا يخفى الهدي من النعم على رائيه بما جعل
في عنقه من تعليق نعل او غيرها فكذلك انا لا يخفى استحقاقي للعذاب
بما اكتسبته من الاثام بسبب مدحي غيره صلى الله عليه وسلم من اهل الدنيا
وخدمتي اياهم على من راني وعرف حالي اطعت غي من الصبا وهو من الجهل
والبطالة الداعي الى الهلاك في الحالتين حالة مدحي لغيره وخدمتي له وما حصلت
منهما الا على الاثام والندم على ما صدر مني ولو صحبني التوفيق من اول لكان ما صدر
مني من شعر وخدمة لمنه صلى الله عليه وسلم خاصة لكن التوفيق

بلي

يمن بني شانها **يا خسارة نفس في تجارتها لانها لم تشتر الدين بالدنيا ولم تسم** نما العظم خسارة من عدله عن العظيم القدر والباقي الى الحقير الخسيس الفاني ولا شك ان **من يبع اجلا منه** وهو نعيم الاخرة الباقي ابدا لا باد الذي لا يفني طول الاماد **بعاجله** وهو متاع الدنيا الفاني **يبن له الغبن في بيع وفي سلم** اي يتضح له الغبن في بيعه العاجل وفي سلمه وهو بيعه الآجل ويحتمل ان يكون في بلا مصدر معطوف محذوف تقديره اي ومن يبع اجلا من متاع الاخرة بعاجله من متاع الدنيا او يشتري عاجله من متاع الدنيا باجله من متاع الاخرة يتبين له الغبن في بيع وهو الحالة الاولى المصرح بها في كلام الناظم وفي سلمه وهو الحالة الثانية المقدرة والظاهر ان مغير منه عاملا على قوله العين في البيت قبله **ان آت ذنبا** بعد ما تقدم من التوبة بالندم على الشعر والخدم بان عدت اليها **فما عهدي** الذي التزمته من دين الاسلام الذي جاء به صلى الله عليه وسلم **بمنتقض من النبي** لان نقض التوبة بارتكاب الذنب لا ينقض الايمان **ولا حبلي بمنصرم** منه اي من دينه **فان لي ذمة منه بتسميتي محمدا** كتسمية صلى الله عليه وسلم بذلك فاختياري التسمية باسمه دليل على محبتي فيه فان احدا لا يتسمى باسم الا وهو يحبها او يحب من تسمى به واذا ثبت لي منه ذلك مع عظم جاهه وعلو مكانته عند ربه فلا اخاف ولا كيف اخاف او ابالي **وهو** صلى الله عليه وسلم **اوفى الخلق بالذمم** لانه عليه السلام قادر على تخليصي بالشفاعة اذا اذن له ان يشفع بها في محبيه المؤمنين وفي كلامه دليل على الترغيب في التسمية باسمه صلى الله عليه وسلم وقد جاء في ذلك احاديث منها ما روي عن انس بن مالك رضي الله عنه قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم يوقف عبدان بين يدي الله عز وجل فيامر بهما
الى الجنة فيقولان ربنا بما استاهلنا الجنة ولم نعمل عملا يجازينا الجنة
فيقول الله عز وجل عبدي ادخلا الجنة فاني آليت على نفسي ان لا يدخل
النار من اسمه احمد او محمد وعن نبيط بن شريط قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل وعزتي وجلالي لا اعذبت
احدا تسمى باسمك في النار رواه ابو نعيم وعنه ابو علي الحداد
وعنه ابو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسنده مرفوعا
وقال متصل الاسناد وروي عن جعفر بن محمد اذا كان
يوم القيامة نادى مناد الا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة
كرامة لاسمه صلى الله عليه وسلم وفي لفظ آخر ينادى يوم
القيامة يا محمد فيرفع راسه في الموقف من اسمه محمد فيقول الله
جل جلاله اشهدكم اني غفرت لكل من اسمه على اسم محمد نبيي وعن
ابي امامة رضي الله عنه قال من ولد له مولود فسماه محمدا تبركا كان هو
ومولوده في الجنة رواه صاحب الفردوس وابنه ابو منصور وروينا
ايضا عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال ما من مائدة وضعت
فحضر عليها من اسمه احمد او محمد الا قدس الله ذلك المنزل كل يوم مرتين
قلت انا وبها احمد الى الله صلى الله عليه وسلم مرة بتسميتي احمد كاسمه
الشريف واساله من فضله كما من علي بذلك ان يسلكني في سلك
محبيه او وارثيه بمنه وفضله ورحمته اللهم بكرى صلى الله عليه وسلم
في معادي اخذا بيدي في يوم حشري مع سائر المخلوقات بان يشفع في
فضلا منه لا لسابقة مني استحق بها اخذه بيدي فله المنة والفضل

لله

ومعلوم قوله والا بالتنوين اي فضلا وعهدا افعل انت يامن يطلب منه الخطاب
يا ذا العقدم في شكك للداخل او يكون والا شرط حذف فعله وجوابه لدلالة ما قبله
والفعل عليه وان كان الاخذ باليدين في معادي نفسك بالثبوت وقد مر وفي
هذين الاشكال في فهم قوله والا فانه لم يزل يشكل ووجه الاشكال
ان اصل الكلمة ان لا فادغمت النون في اللام ومعناه ان لا يكن ما ذكر فيه لو لم
ما تقدم فان وقعت بعد الثبوت فهي للنفي وان وقعت بعد النفي كانت نفيا
نفي للايجاب ثم قوله فقال جعله هذا المستشكل جواب قوله والا وقد
كان الاخذ باليد في قوله ان لم يكن منفيا فيجب ان يكون في قوله والا مثبتا
اي وان يكن الاخذ باليدي نفسك يا ذا القدم وهذا الاشكال في اسقاطه
وتبديل الرواية فان يكن في معادي وهذا بين لا اشكال فيه ان صحت
ثم قال حاشا ٥ اي اترك محمدا صلى الله عليه وسلم في هذا الامر الذي يرجو
الراجي فيه مكارمه او يرجع الجار منه غير محترم فان قيل ما اعراب حاشاه
ان يحرم الراجي فالجواب ان حاشا وحاشاه وحشاه وقد يحذف منه
الالف فيقال حاش له اسم بمعنى المحاشاة واما حاشا المستعمل في الاستثناء
فهو حرف يجر المستثنى والفعل ينصبه فان جعلنا حاشا في البيت اسما يكون
منصوبا بفعل مضمر وهو اسم واقع موقع المصدر اي احاشيه حاشاه والهاء في موضع
خفض باضافة حاشا اليها وان يحرم اصله من ان يحرم كما تقدم تقديره وحذف
من وفي محله بعد حذفها قولان قيل نصب وقيل جر وعلى كل تقدير فعامله اما حاشا
او العامل فيه المقدر وان جعل حاشا فعلا فهو فعل ماض والهاء مفعول وان يحرم
فاعله والراجي مفعول يحرم وان بني للفاعل وقد نصب ثانيه ضرورة لان
بني يحرم للمفعول فالراجي مفعول لم يسم فاعله وهو مرفوع وفاعل يحرم

هذا الى نهاية المفاعل تفاعله فهو يعود الى النبي صلى الله عليه وسلم
ثم استدل الناظم رحمه الله على قوة رجايه وانه لا يخيب في ظنه بقوله
ومنذ زمان الزمت افكاري مدايحه في الدنيا متوسلا بها في مطالبي
الحقيقة كطيب الكلام من الله الذي لا يفند رجي دفعه الا الله ببركة
محمد عليه السلام وجدته صلى الله عليه وسلم كلامي من جميع الشدايد التي
تصيبني خير ملتزم بكسر الزاي وهو الله الذي اشير اليه هو سبب
انشاد هذه القصيدة فانه اصيب بفالج ابطل نصفه فعمل هذه
القصيدة واستشفع بها ثم راه صلى الله عليه وسلم في النوم فمسح
بيده الشريفة عليه فعوفي فلما استيقظ قال له بعض الصالحين
اسمعني القصيدة التي مدحته بها صلى الله عليه وسلم التي اولها امن
تذكر فلقد سمعتها تنشد بين يديه صلى الله عليه وسلم وهو يميل
كالقضيب وفي قوله الزمت افكاري جواز الحذف والتقدير كما تقدم
ذات افكاري اي نفسي ومنذ مبني على الضم ومذ على السكون
ويكونا حرفي جر بمعنى في فيجر ما بعدهما ولا يكون الا زمانا انت فيه
نحو ما رايته منذ الليلة ويكونان اسمين فيرفع ما بعدهما على التاريخ
نحو ما رايت مذ يوم الجمعة اي اول انقطاع الروية يوم الجمعة او على التوقيت
نحو ما رايته مذ سنة اي امد ذلك سنة ولا تقول مذ سنة كذا
لانه لا يتوقعنا الا نكرة وقال ... مذ للزمان نظيرة من للمكان
فقول الناظم رحمه الله ومنذ الزمت فيه حذف اسم زمان مضاف الى
الجملة الفعلية والعامل في منذ وجدته فهو مقدم في التقدير اي وجدته
صلى الله عليه وسلم كلامي خير ملتزم منذ زمان الزمت افكاري

مدايحه

مدايحه وهي لابتداء الغاية لانها من الزمن المعين عن احمد ويكون لذلك
فان قدرت مذ حرفا فالزمان المفقد مخفوض بها وهي متعلقة بوجدت
وان قدرتها اسما كان مبتدا وخبره اسم الزمان المحذوف ثم قال ولن يفوت
القصايد يداً تربت اي افتقرت او خسرت ما كان بيدها اما من الاموال
في الدنيا واما من الثواب لاقتراف المعاصي فهو ينتفع به ويدخله الجنة
ان الحيا وهو المطر ينبت الازهار حتى في الاكم التي يقال انها لا تقبل استقرار
الما لارتفاعها وسرعة انحداره منها اي كما ان الحيا ينبت الازهار في المواضع
التي لا يمكن نبته فيها كالاكم لعموم بركته كذا هو صلى الله عليه وسلم لعلو
منزلته وشرف قدره عند ربه تعالى ينيل الغنائم لمن انه لا يستحقها
لشدة فقره وفاقته وهذا التشبيه انما هو على سبيل التقريب
للافهام وكانه يقول اعلم اني لم ارد بمدحي له عليه السلام الا ثواب الاخرة
ولم ارد بذلك زهرة الدنيا ونفايسها من المال وغيره التي اقتطفت يدا
زهير الشاعر المشهور بما اثنى على هرم احد اجواد العرب وهذا زهير
الذي ذكره هو ابن ابي سلمى واسم ابي سلمى ربيعة بن رياح المزني شاعر
مجيد من فحول شعراء العرب وهو احد الشعراء الستة وهو ابو كعب وبجير
ابناي زهير الصحابيين وابنه كعب هو القايل يمدحه صلى الله عليه وسلم
بانت سعاد القصيدة المشهورة والشعر فيهم وراثة وكان زهير يمدح
هرم بكسر الراء ابن سنان بن ابي حارثة المزني وكان يصله بالصلات الجزيلة
الخارقة عن العادات ثم قال الناظم رحمه الله بعد المدح على سبيل الاخبار
عن الغايب الى المواجهة اليه صلى الله عليه وسلم مقبلا بالخطاب عليه
فقال اياك اعني وانت اردت يا اكرم الخلق ما لي من الوذ به سواك عنده

حلول الحادث العمم اي الطويل كربه الشديد مشقته وخطبه وان يضيق يارسول الله
جاهك بي اي عني او بسببي في كربي التفات اليك في التوسل به لاستنقاذي
مما استحقه من العقاب وذلك اذ الكريم سبحانه وتعالى تحلى بالمهملة
اي اتصف باسم اي بسمي منتقم وذلك حين يقع الانتقام من العصاة ويستشفع
الى المرسلين وكل يقول نفسي نفسي وانت صلى الله عليك وسلم تقول امتي امتي
فان قيل في كلامه اشكال كبير وقلق عسير لان قوله اذ الكريم تحلى
يقتضي ان الكريم يتصف في الزمن المستقبل بمنتقم لان اذا للاستقبال
ولان تحلى في حيزها الماضي الذي في سياق الشرط مستقبل المعنى ونعته
يتصف بالمستقبل وصفات الله تعالى قديمة لم تترك ولا تزال هذا احد الاشكال
واما الثاني ففي قوله باسم منتقم فان الاسم عند اهل السنة هو المسمى
نسبح باسم ربك اي ذاته فالكريم في البيت بمعنى المسمى واسم بمعنى المسمى ايضا
ومنتقم ايضا بمعنى المسمى فيكون التقدير اذا اتصف المسمى الذي هو الكريم
بمسمى الاسم الذي هو الاسم الذي هو منتقم وهذا كما ترى وايضا يؤذن كلامه باجتماع
صفتي الفعل المتضادين في وقت واحد فان المراد بالكرم التجاوز وما يتضمنه
والمراد بالانتقام المؤاخذة بالذنب ولا يتاتى اجتماعهما في الوقت الواحد
في المحل الواحد فالجواب اذا تقرر ان الكريم في وجه والمنتقم صفتان
فعليتان فالكريم من له الكرم والمنتقم من له الانتقام كما ان الخالق من له الخلق
والصفة الفعلية لا يرجع من معناها الى الفاعل معنى قائم به هذا هو الصحيح
من مذهب اهل السنة وهو مذهب الشيخ ابي الحسن الاشعري وكذا قال
ابن ... رحمهم الله لا يتصف الباري تعالى بكونه خالقا في الازل الا مجازا
وكذلك الشيخ ابو الحسن من اسمايه تعالى ما يقال انه غيره وهو كل دال

الصفة

التسمية به على زنة الخالق وذهب بعض ائمة اهل السنة الى ان كل اسم
هو المسمى بعينه فالخالق هو الاسم وهو الرب تعالى وليس الخالق
اسما للخلق ولا الخلق اسما للخالق والمرضي طريق الشيخ ابي الحسن
ثم كل القولين الامام المعالي في الارشاد وغيره وكلام الناظم على
طريق الشيخ لا اشكال فيه نعم يبقى النظر في قوله تجلي فان معناه
كما تقدم يتصف وقد سبق انه لا يرجع من الصفة الفعلية الى الفاعل
معنى فيكون تضمن معنى تحلى دعي اي يدعى في ذلك المقام
باسم منتقم واما القلق فيزول اذا قلنا ضمن تحلى معنى دعي
وبالجملة لو بدل هذه الالفاظ بغيرها لكان اولى فان المقام ضيق
ويحتمل ان يكون المراد بالكريم والمنتقم جنس من اتصف من
شانه الكرم والتجاوز عن الهفوات بمقابل اسم منتقم اي تبدل
صفاته من الكرم الى الانتقام والاخذ بالجرايم وذلك لما يرى
من هول الموقف وكل احد في ذلك اليوم يشتهي ان يبذل له الحق
ولو على ابيه او ابنه واقرب الناس اليه ليستكثر به في استجلاب
الثواب ودفع العقاب وبهذا الوجه يندفع الاعتراض الوارد
على الوجه الاخر فان من بعض جودك الدنيا وضرتها الى الاخرة
ومن بعض علومك علم اللوح والقلم قيل له اللوح المحفوظ من درة بيضا
طولها ما بين السما والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وحافتاه الدر
والياقوت وقلمه نور فان قلت من بعض علومه علم اللوح والقلم
مشكل لان الله تعالى كتب في اللوح علم الكاينات التي من جملتها الخمس
التي استاثر الله تعالى بعلمها كما في الصحيح في قوله صلى الله عليه وسلم لا يعلمهن الا الله

فالنبي صلى الله عليه وسلم وغيره من المخلوقين لا يعلم هذه الخمس فكيف
ما يتضمنه بعض علومه فينبغي ان لا يكون المراد باللوح والقلم
في كلامه جنسهما من الالواح والاقلام التي تكتب فيها الخلايق علومهم
فالجواب لا نسلم ان هذه الخمس مما كتب في اللوح المحفوظ اذ
لو كانت مما كتب في اللوح لاطلع عليه بعض الملايكة المقربين عليهم
السلام ممن شانه ان يطلع على اللوح المحفوظ ولين سلم انها فيه
فان الله يطلع عليها الحذاق كانت فيه فالمعنى ان بعض علومك
علم اللوح والقلم التي يطلع عليه المخلوق ثم انتقل رحمه الله
الى نفسه يخاطبها لتحقيق رجائه ويونسها لئلا يؤول بها شدة
الخوف الى القنوط من رحمة الله تعالى فقال يا نفس لا تقنطي من
زلة عظمت فان فضله عظيم وحلمه وعفوه عميم ان الكبائر العظام
الذي لك كهيئتها ايتها النفس في جانب الغفران منه سبحانه
وتعالى كاللمم وهي صغاير الذنوب فانه ورد انه تعالى يغفر الصغاير
باجتناب الكباير فكذلك يعفو عن الكباير ان شاء الله تعالى بفضله
وكرمه وشفاعة نبيه عليه السلام وما ذكره الناظم من الكباير في
جواز العفو عنها كاللمم هو مذهب اهل الحق والسنة وهو منه فضل
والعقاب منه عدل لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون والاصل
يا نفسي منادى الى ياء المتكلم وحذفت استغناء عنها بالكسرة وكان الناظم
رحمه الله تعالى لما نهى نفسه عن القنوط فذكر كانها قالت له اذا لا اقنط
من رحمة الله تعالى وان ذلك كفر ولكن اخشى ان يكون حظي الذي
اعطاه من الرحمة لا يفي بالتبعات ذنوبي لعظمها فاجابها بقوله

لعل

لعل رحمة ربي التي تنال العصاة للستر على ذنوبهم حين يقسمها جل وعلا
انا ورعت عليهم تاتي اقسامها في العظم والصغر على حسب ابي تقدر
العصيان في القسم. ومن حمل من الاثام المعاصي حملا كبيرا
كان ما يناله من اقسام الرحمة التي في الستر شيا كثيرا وقد اشتملت
هذه القصيدة على انواع التغزل وتوبيخ النفس والوعظ
ومدحه صلى الله عليه وسلم وذكر بعض صفاته على اختلاف
انواعها ومدح القران ومدح الصحابة وذم الكفار وتوبيخ النفس
ايضا والانذار بالذنب وذكر معتصمه في الخلاص من الاثام وختمه
الدعا بالصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رب حقق ظني اواسع رجائي واجعل رجائي غير منعكس
لديك يوم القيامة حيث يكون الثواب والعقاب واجعل حسابي وهو
ظني الجميل بك ان تعفو عن زلاتي وتنيلني من فضلك ما املته
من كرمك التي تكرمني به غير منخرم ذلك الظن اي غير ناقص
لديك بل اجده حسنا قد رسته كما قال الاخر
الهي عليك الرجاء انخ ۔ لا ارجو الله حسبي كافيني
اري بجميل اللطف ما الله صانع
والطف بعبدك في الدارين الدنيا والاخرة ان له اي لعبدك ويحيي
نفسه صبرا متى تدعه الاهوال ينهزم اي متى تطلبه الامور المهولة
ينهزم صبره ولا يثبت فيهلك وباللطف يدفع الهلاك واذن لسحب
صلاة منك دايمة باكرمتنا لعلاه وسلام دايم على النبي محمد صلى الله
عليه وسلم منهمل اي وامر يا رب سحايب الصلوات ان تمطر بنوع

منهل اي منصب منسجم اي سايل واما شبه الصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم بالمطر لان الصلاة من الله على نبيه رحمة والمطر رحمة وادخل
بعضهم ما بينهما حسنًا لا باس بادخاله وهو آله الغر والصحب الكرام اولوا
اهل الصفا والوفا والجود والكرم ما رنحت عذبات شجر البان ريح صبا
وهي الريح الشرقية سميت بذلك لانها تقابل بهبوبها الكعبة
كأنها تصبو اليها واطرب العيس حادي العيس بالنغم اي ايدن يا رب
لهذه السحب او ادمها او صل عليهما ما ابقت الريح الشرقية تهب فتميل
اغصان شجر البان عند هبوبها وما ابقيت الابل نشاطا فيحدوها
الحادي وتطرب بحدائه ومعلوم ان هذين الامرين لا ينقطعان
ما بقيت الدنيا وللابل خاصية عظيمة في حصول الطرب لها عند
سماع صوت الحادي وذلك معلوم بالاخبار ومشاهد بالابصار
وكلما كان الصوت احسن كان طربها اكثر حتى انها تقطع المسافة
الكثيرة في الزمن القليل بسبب ما يحصل لها من النشاط عند
سماع الصوت الحسن حكمة العزيز القادر والعيس كما قال الجوهري
بكسر العين الابل البيض يخالط بياضها شيء من الشقرة وانما خص
البان والعيس لانها مالوفات الاحبة وهم العرب وتخصيص ريح
الصبا الظهر في ذلك لهبوبها الى باب الكعبة اعظم مكان في البلد
الذي هو مسقط راس حبيبه وحبيب كل مومن صلى الله عليه وسلم
كما هو بالذكر في بيت من هذه القصيدة وجبال الاحبة لسلطان حسن
الابتداء وحسن الاختتام في الدلالة على ان القلب معمور بذكر
الاحبة اولا واخرا ووسطا وفي هذا البيت والذي قبله براعة الختام

وسماه بعضهم حسن القطع وبعضهم حسن الخاتمة والاولى الشعر عبارة
عن ختم القصيدة باجود بيت يحسن السكوت عليه لانه آخر ما يبقى
في الاسماع وربما حفظ دون غيره لقرب العهد به فان كان مختارا
جبر ما عسى ان يقع قبله من التقصير والاعمال بخواتيمها ختم الله
لي ولوالدي ولمشايخي ولاحبابي وللمسلمين بخاتمة السعدا بمنه
وكرمه والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله واصحابه وحسبي
الله ونعم الوكيل واستودع الله نفسي وديني وخواتيم عملي واحبابي
وما انعم به علي وللمسلمين فانه سبحانه اذا استودع شيئا حفظه
وهو الحفيظ قال مولفه العلامة احمد بن محمد القسطلاني
فرغت من تعليق هذا الشرح في يوم الجمعة ثماني عشر صفر الخير سنة ٣
٩ و٨ مائة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
وكان الفراغ من نسخ هذا الشرح المبارك يوم الاحد
ست ليال بقين من شهر الله المحرم مفتتح
سنة ١٢٨ على يد افقر العباد واحوجهم الى الله
محمد بن حسن بن عبد القدوس
السعيدي اقليما الهيوتي بلدا
الازهري وطنا غفر الله
له ولوالديه ولمن دعا
لهم بالمغفرة
امين